مطبوعات مجلة المدفعية

تبسيط الاستراتيجية

للعقيد أركان حرب
علي فهمي عبد الستار

مطبوعات مجلة المدفعية

تبسيط الاستراتيجية

اقتباس وتعريب

العقيد أركان الحرب

علي فهمي عبد الستار

الطبعة الأولى — ١٩٥٩

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

المرجع :

THE FRAMEWORK OF BATTLE

By

Lt. Col. John G. Burr

مطبعة الاعتماد بمصر ت : ٧٥٣٩٢

محمد يوسف الكويتي

الإهداء

إلى جنود الجمهورية العربية المتحـــدة ،

أمـــل العروبة ، وعـــدة المستقبل ،

وحمـــاة الوطن العربى الكبير

عبد الله بن يوسف العويشي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم العقيد أركان الحرب أحمد رأفت بسيوني
رئيس تحرير مجلة المدفعية

يعرض هذا الكتاب موضوعاً عسكريا له أهمية بالغة، فهو يتناول الاستراتيجية ومبادئها ، محاولا أن يفسرها فى أسلوب بسيط يفهمه العسكريون فى يسر ، ولا يعسر فهمه على غير العسكريين .

ولا ريب أن معرفة مبادىء الاستراتيجية من أول ضرورات دراسة فن الحرب، ذلك الفن الموغل فى القدم ، والذى عرفه التاريخ من قديم الزمان ، قبل أن يدون بين صفحات الكتب ، ويتخذ مظهر العلم الذى تحده القوانين وتكشف غوامضه الدراسات .

فقد عرفت الاستراتيجية ، وأدركت مبادؤها . وثبتت صحتها خلال القرون المتعاقبة ، رغم أنها لم تدون أو يتفق على تسمياتها ، أو يعترف بها رسميا ، إلا فى هذا الزمان الأخير — وتجلت عبقرية القادة العظام فى تطبيقهم لها التطبيق الصحيح، بحيث لم يشهد التاريخ ذلك القائد العبقرى الذى وهب الحاسة الاستراتيجية السليمة، وكان له المنطق الاستراتيجى الرشيد ، الذى يمكنه من اتخاذ القرارات الصحيحة إلا وقد كتب له النصر ، وكللت حملاته ومعاركه بالفوز .

ومبادىء الاستراتيجية ثابتة لا تتغير باختلاف تنظيم الجيوش المقاتلة، ولا بتطور أسلحتها ومعداتها ، ولا بتباين طبيعة مسارح القتال ، واختلاف أجوائها .

وليس لمبادىء الاستراتيجية فى ذاتها من أهمية بالغة ، وإنما تكتسب أهميتها الحقيقية من تطبيق عباقرة القواد لها التطبيق الصحيح الذى يؤدى بهم دائما إلى الحصول على النصر .

* * *

وقد بدأ مؤلف الكتاب بشرح المصطلحات العسكرية المتداولة فى الإستراتيجية شرحا وافيا ، وبيّن كيفية استخدامها ، فى أسلوب واضح بدد كثيرا من غموض اللغة العسكرية الصرفة .

ثم عرض لمبادىء الاستراتيجية ، فشرح كلا منها شرحا سائغا بطريقة مبتكرة ، إذ جعل أحداث الحملات والمعارك التى يزخر بها التاريخ هى التى تنطق بأهمية المبدأ وبمدى نجاح القائد أو فشله فى تطبيقه . وقد توخى فى شرحه سهولة العبارة ، وحسن العرض ، والإيجاز المفيد ، بحيث لايشق على القارىء أن يلم بأطراف هذا الموضوع العميق فى يسر وسهولة .

وقد آثر معرب الكتاب العقيد أركان الحرب على فهمى عبد الستار ، أن يقصر الأمثلة التى اقتبسها عند تعريب الكتاب على حملات ومعارك الحربين العالميتين لقرب العهد بهما .

ومجلة المدفعية ، تقدم هذا الكتاب الثالث المعرب ضمن مطبوعاتها ، مزودة بها المكتبة العسكرية ، راجية أن تكون بهذا الموضوع الهام قد سدت من الفراغ فى الثقافة العسكرية والأدب الحربى ، ما آلته على نفسها فى أداء رسالتها ، نحو جيش الجمهورية العربية الباسل .

والله سبحانه وتعالى خير مسئول أن يزيد الجمهورية العربية المتحدة ، وجيشها الفتى نصرا وعزا وتمكينا .

محمد أبو يوسف الكرباشي

مقدمة

الجيوش هى التى تحرز النصر فى الحروب . وعلى الرغم من الأهمية البالغة ، التى لجهود الإنتاج ، وللدفاع المدنى ، فإنها لا تحقق الانتصارات الحاسمة. فالقتال هو الوسيلة الوحيدة لهزيمة العدو، ولا يتم إلا باشتباك الجنود المسلحين بالقوات المعادية .

والفن العسكرى ، فن عريق ، موغل فى القدم . فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، كان يسعى عباقره القواد ،لرد أساليب القتال الناجح إلى مبادىء أساسية ، أعلنها القادة من أمثال الاسكندر ، وقيصر ، ونابليون ، وفون مولتكه . كما قررت هذه المبادىء ، كليات الأركان حرب ، التى أنشئت فى القرن الماضى ، بعد دراستها ، وتمحيصها ، وذاع بعضها ذيوعا تاما ، فى مختلف أنواع الحروب .

وهذه المبادىء بسيطة ،يسيرة الفهم. بيد أن المراجع الحربية،والكتب العسكرية،التى كتب معظمها للعسكريين خاصة ، بلغتهم العسكرية ،ومصطلحاتها الفنية ، تجعل من العسير على غيرهم أن يفهموها .

وهذا الكتاب ، محاولة لعرض هذا الموضوع الهام ، فى لغة سهلة ، وذلك بشرح مبادىء الاستراتيجية الأساسية ، وتوضيحها بأمثلة من تاريخ الحربين العالميتين .

وهو لا يشتمل على جميع تفاصيل الاستراتيجية ، ولكنه يهدف إلى إيضاح الأساس الذى بنيت عليه ، ولذلك تعد قراءته أولى الخطوات الضرورية لتفهم علم الحرب .

أما الحملات والمعارك التى يتضمنها ، فلم تدرس إلا دراسة جزئية ، بالقدر الذى يحقق الهدف المنشود منها .

كما أن الرسوم ، التى يضمها بين دفتيه ، « رسوم استراتيجية » ، حتى ولو كانت لبعض المعارك . ولذلك فهى لا تشمل جميع التفاصيل الدقيقة ، وإنما تحوى فقط ، ما يمكن من إبراز المبادىء الاستراتيجية التى اتبعت .

ولا ريب أن المعرفة التى يحتويها هذا الكتاب ، هى أولى ضرورات الثقافة الاستراتيجية . فمبادىء الاستراتيجية هى أساس المعركة ، وهى التى ترشد القائد إلى الهيكل العام ، الذى يجب أن تبنى عليه العمليات ، حتى تتهيأ له أفضل فرصة ، لإحراز النصر .

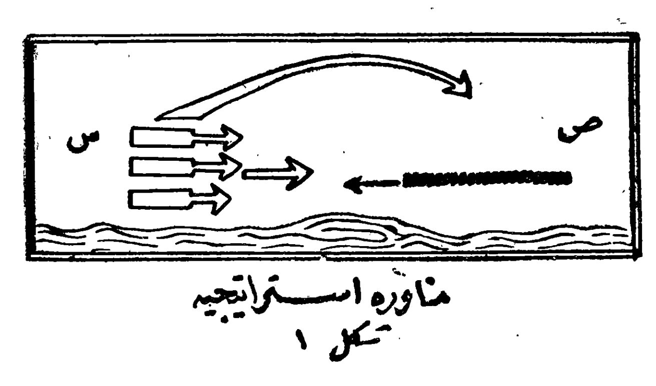
الباب الأول

اللغـــــــــة العسكرية

للفن العسكرى ، منطق سليم . وقد يبدو لأول وهلة ، أن مبادئه التى تسمى مبادىء الاستراتيجية ، معقدة وغامضة ، ولكنها فى حقيقة الأمر سهلة واضحة . وهى مبادىء ثابتة ، لا تتغير باختلاف الأجواء ، وتباين الأصقاع ، وتنظيم الجيوش ، وتطور المعدات .

وترتبط الاستراتيجية بتحركات الجيوش قبل اتصالها بالعدو ، بينما يرتبط التكتيك باستخدام القوات فى المعركة . وتتناول المبادىء التكتيكية قواعد استخدام المعدات المختلفة فى الجيش .

ولا يؤثر الاختلاف فى تنظيم القوات العسكرية على المبادىء الاستراتيجية أو يغير منها ، بل تبقى ثابتة ، سواء كانت القوات المقاتلة ، هى الفرسان الرومانية ، أو الفرق الميكانيكية الحديثة . وبهذه المبادىء ، يهتدى القائد ، عندما يقرر حجم القوة الملائمة لتوجيه ضربته ، فى أفضل مكان ، وبأبرع أسلوب .



مناوره استراتيجيه
شكل ١

فى الشكل (١) يقترب الجيشان (س) و (ص) أحدهما من الآخر ، وقد

قرر قائد الجيش (س) أن يشن هجومه فى اتجاه السهم ، وأن يقوم فى الوقت نفسه «بهجوم تثبيتى» آخر بالمواجهة،وبذلك يضرب الجيش(ص)من الجنب ويجبره على القتال ، وظهره مرتكز إلى النهر . ولا ريب أن هذا يجعل الجيش (ص) فى موقف سيء : ولذلك يعتبر تحرك الجيش (س) ، بغض النظر عن تنظيمه ، استراتيجية جيدة . فالمعدات المجهز بها كل من الجيشين ، تقرر سرعة الضربة ، وعمقها ، ولكنها لا تغير شيئاً من الفكرة الأساسية عن الهجوم بالجنب ، ولا من الاعتبارين الرئيسيين، اللذين يجب أن يحققهما قائد الجيش (س) ليحرز النجاح وهما :

أولا : أن يقرر النسبة الصحيحة من القوات فى كلا اتجاهى الهجوم .

ثانياً : أن يحقق المفاجأة فى الهجوم من الجنب .

وبصرف النظر عن المعدات المتيسرة ، فان الخطة الاستراتيجية ، فى أى موقف ، تكون سليمة دائماً ، طالما أنها تتمشى مع المبادىء الاستراتيجية الصحيحة .

أما المبادىء التكتيكية ،فانها تتغير بتغير السلاح، أو بطريقة استخدامه. فالفرق الرومانية ، بجنودها لابسى الدروع ، الذين يقاتلون بالسيوف ، فى صفوف ثلاث ، تختلف تكتيكاتها كلية عن تكتيكات الفرق الحديثة ، التى تقاتل فى مجموعات صغيرة ، تعضدها قوة نيران هائلة ، وتؤيدها حصون مدرعة متحركة .

وتتعلق مبادىء الاستراتيجية بميدان المعركة ، وبالتحركات التى تسبق المعركة . أما المبادىء التكتيكية ، فلا ترتبط إلا بكيفية استخدام القوات فقط ، ولا شأن لها بأسلوب المناورة الاستراتيجى ، ولا بتحركات القوات، أو بأوضاعها التى تهيء لها القتال بالحشد الصحيح،فى المكان والزمان الملائمين. وتنشأ مشكلة المناورة فى ميدان المعركة (فى محيط التكتيكات) ، كما تنشأ فى الفترة التى تسبق المعركة (فى محيط الاستراتيجية) .

ففى المثال الأول ، يكون جناح الجيش (ص) المكشوف ،هو أنسب مكان يهاجمه قائد الجيش (س) ، سواء اتصل الجيشان فعلا ، أم كانت تفصل بينهما مسافة كبيرة .

وأفضل سبيل لهزيمة العدو ، هو تحطيم جيوشه ، واحتلال أراضيه بعد ذلك ، ولا يتحقق هذا إلا بالقتال .

فالمعركة ، والمعركة الناجحة هى النهاية المحتومة لجميع الحملات . وقد وضعت مبادىء الاستراتيجية ، التى يهتدى بها القائد عند وضع خططه ، لتحقيق ذلك الغرض .

وقد سبق القول بأن الاستراتيجية ترتبط بتحرك القوات وأوضاعها قبل المعركة . ويجب أن تتم التحركات الاستراتيجية ، بحيث تضطر العدو عند الاتصال به ، إلى أن يقاتل فى الوضع الذى لا يلائمه . وتتيسر للقائد الذى ينتهج الاستراتيجية الأفضل مزايا أكثر فى ميدان المعركة ؛ تمكنه إذا اتبع فيه التكتيكات السليمة ، من إحراز النصر . أما إذا باء بالهزيمة فى المعركة ، فلن تجدى الاستراتيجية التى انتهجها ، مهما كانت متفوقة .

فالاستراتجية تحقق النصر فى الحرب ، عندما يتوجها النجاح التكتيكى . ويجب أن يتذكر كل قائد هذه الحقيقة ، ويذكر بها مرءوسيه ، الذين كثيراً ما يغفلونها عند إجراء المناورة . ومصداق ذلك ما حدث فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، عندما أمضى قادة الجيوش جل وقتهم ، وهم يحاولون تجنب المعركة ، ويؤملون فى نفس الوقت أن يحرزوا النصر ، بتحريك قواتهم حول القوات المعادية فقط. وقد أطلق على إحدى الحروب فى هذه الفترة «حرب الثلاثين عاماً» ، وكان من العجيب أنها لم تستغرق زمناً أطول من ذلك .

فالمعركة الناجحة، هى مفتاح النصر فى الحرب والغرض من الاستراتيجية

هو وصول القوات إلى المكان الذى تستطيع فيه أن تنتصر فى المعركة .

وللعلوم والفنون لغاتها الخاصة بها ، التى تبدو عسيرة الفهم على غير أهلها ، إذ يحيط الغموض بكثير من مصطلحاتها الفنية ، ولا تشذ اللغة العسكرية عن هذه الحقيقة .

ويهدف هـــذا الباب إلى تفسير المصطلحات العسكرية المتداولة فى الاستراتيجية ، وشرح أساليب استخدامها .

وقد سبق شرح مصطلحات «الاستراتيجية» و «التكتيك» و «المبادىء الاستراتيجية» و «المبادىء التكتيكية» . وبقى اصطلاح «الشئون الإدارية» .

ترتبط الشئون الإدارية «بإعاشة القوات وتحركاتها» . والمقصود بالإعاشة تموين القوات المقاتلة ، بالتعيينات ، والذخيرة ، والوقود ، والأسلحة ، وغيرها من الاحتياجات والعتاد ، علاوة على تدبير المأوى ، وإصلاح الأسلحة والمعدات ، وعلاج المرضى والجرحى ، وإخلائهم إلى الوحدات الطبية ، وكذلك إخلاء المواد التى لا حاجة إليها فى القتال . كما تشمل أيضاً تحرك القوات ، سيراً على الأقدام ، أو براً بالسكة الحديدية أو المركبات ، أو التحرك بالبحر ، أو بالجو .

وتتناول الشئون الإدارية كل ما يتعلق بهـذه الموضوعات ، بالنسبة للقوات . فعند ما تنظم فرقة جديدة مثلا ، يجب على قائد هـذه الفرقة أن يحسب مع مرءسيه ، مقدار المؤن التى تحتاج إليها ، وأن يعرف مصادر الإمداد بها ، وأن يتبع أفضل الأساليب بالنسبة لتوزيعها واستعاضتها .

وعند ما تتحرك الفرقة من مكان إلى آخر ، فقد يتحرك قسم منها بالسكة الحديدية ، وقسم آخر بالحملة الميكانيكية على الطرق . ولذلك يجب أن يعرف القائد وضباط رئاسته ، عدد القطارات اللازمة لكل وحدة من وحداتها ، والزمن الذى تستغرقه عملية التحميل والتفريغ ، كما يجب عليهم معرفة الطرق البرية التى ستتحرك عليها العربات ، وسرعة التحرك . . الخ

وعند ما تصل الفرقة إلى مكانها الجديد ، يجب اتخاذ الإجراءات الخاصة بإيوائها ، إما فى الخيام ، أو فى المبانى ، أو فى خيام البطاطين بالعراء .

فالشئون الإدارية ، هى الاصطلاح الذى يعرف به كل هذا الجزء من علم الحرب ، وهو جزء غاية فى الأهمية ، فلن يتمكن الجيش الحديث ، من أن يقاتل ، دون أن يصله من الخلف ، فيض مستمر من الإمدادات والمؤن.

والمقصود باصطلاح «من الخلف» أرض الوطن ، أو أى بلد حليف . والاصطلاح العسكرى المرادف لذلك هو « من القاعدة » . وقد يوجد بين القاعدة وبين الجيش المقاتل فى الميدان قواعد أخر .

ويصل بين القواعد ، والقوات المقاتلة ، طرق المواصلات ، وهى أحد العناصر الهامة فى الحرب ، إن لم تكن أهمها ، وسنفرد لها الباب القادم بأكمله.

والاصطلاح العسكرى الذى يطلق عليها هو « خطوط المواصلات » ، التى قد تتكون من السكك الحديدية ، والطرق البرية ، والمحيطات ، والأنهار ، وأنفاق الجبال ، ويتدفق عبرها دم الحياة إلى القوات المقاتلة .

فبالشئون الإدارية تتم إعاشة الجيش وتحركه . وبخطوط المواصلات يتم اتصاله فى ميدان القتال بقواعده ، حيث توجد منشئات الإمداد والتموين التى يحتفظ فيها بجميع احتياجاته وعتاده وإمداداته .

وينقسم الجيش عادة إلى «القلب» و «الجناح الأيمن» و «الجناح الأيسر» . ويختلف حجم هذه الأقسام فى كل جيش عنها فى الآخر ، كما قد تختلف فى الجيش الواحد باختلاف المواقف . ويسمى الجزء الخارجى من كل جناح « جنب » الجيش (شكل ٢) .

ويحسن هنا أن نوضح ما بالجيش .

تعتبر « الفرقة » أصغر تشكيل له ارتباط بالاستراتيجية .

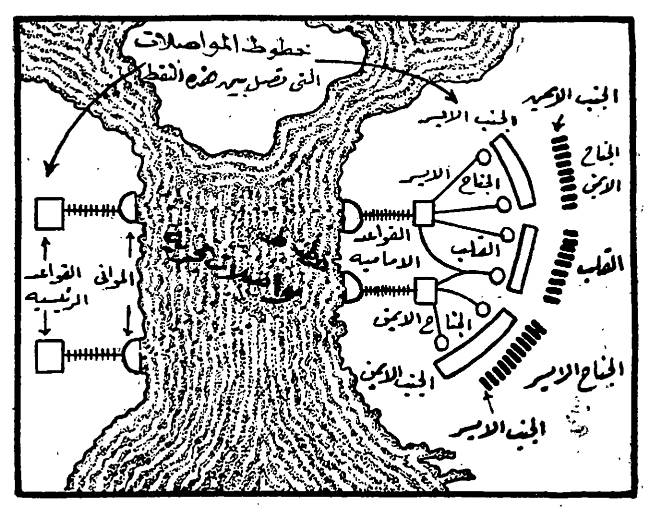
ويتكون الفيلق من فرقتين أو أكثر .

ويتألف « الجيش » من فيلقين أو أكثر .

وتنظم « مجموعة الجيوش » من عدة جيوش .

وبكل من الفيالق، والجيوش، ومجموعات الجيوش ، مدفعية، ومدرعات، ووحدات معاونة أخرى، بالإضافة إلى فرق المشاة .

كما توجد فرق وفيالق ، وجيوش مدرعة .



شكل ٢

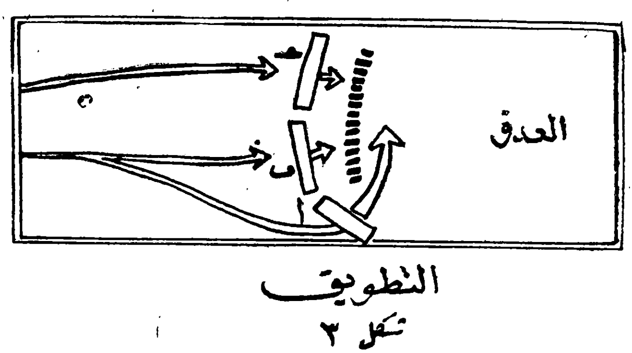
خطوط المواصلات والقواعد

وتتكون « الفرقة المشاة » من مشاة ، ومدفعية ، ووحدات معاونة، ووحدات إدارية .

وليس لعدد الجنود فى الوحدات الصغرى ولا لأنواع المعدات أهمية تذكر فى دراسة الاستراتيجية والتكتيك . إنما المهم هو قوة الجيوش . فإذا هزم جيش يتكون من ٤٠٠٠٠ جندى، جيشاً آخر يتألف من ٦٠٠٠٠ جندى، فلا بد أن يستخلص من ذلك درس يبين كيف تسنى للجيش الأصغر إحراز ذلك النصر .

وتتبع الجيوش فى إجراء مناوراتها أنواعا شائعة منها ، كالتطويق، والتطويق المزدوج ، والاختراق .

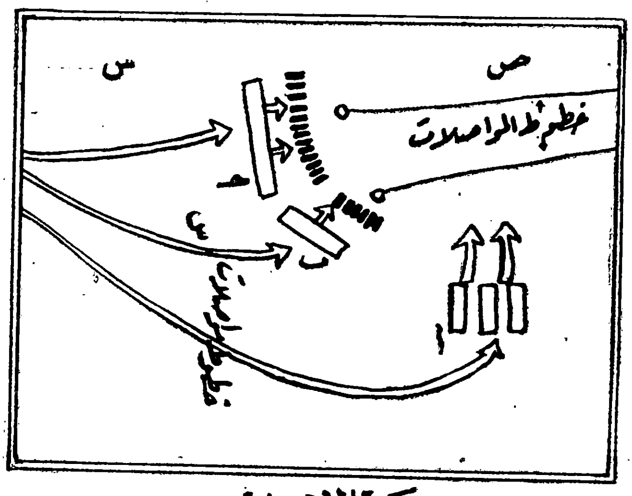
فالتطويق يتم عند مايوجه القائد هجومه إلى عدوه من الجنب، أو من وراء الجنب مباشرة كما فى (شكل ٣) .



التطويق
شكل ٣

ويتضح من هذا الشكل أن التشكيل (ا) يشن هجومه على مؤخرة العدو خارج جنبه مباشرة . وهذا هو « الهجوم التطويقى » الذى يقطع « خطوط مواصلات » العدو ، إذا كتب له النجاح .

أما عندما يشن القائد هجومه من مكان بعيد عن الجنب ، كما فى (شكل ٤) فإنه يقوم حينئذ « بحركة التفاف » .

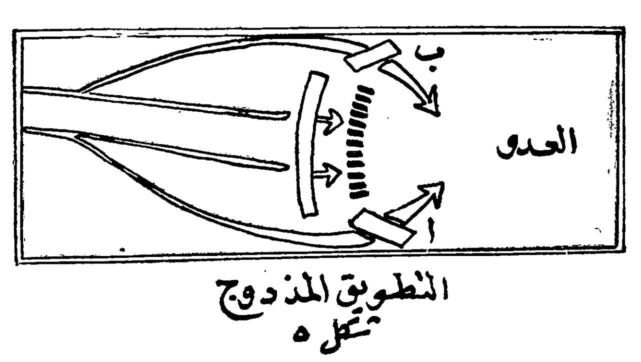


حركة التفاف
شكل ٤

وفى (شكل ٤) عندما اقترب الجيش (س) من الجيش (ص) لاحظ قائد الجيش (س) أن الفرصة مواتية ، لكى يوجه قوة من جيشه نحو مؤخرة

الجيش (ص) ثم وضع خطته للهجوم على أساس قيام القوة (ا) « بحركة التفاف» بينما تقوم القوتان(ب)و (ج) بالهجوم على الجيش (ص) فى مواقعه.

وليس بين حركة الالتفاف والتطويق حد فاصل . فعندما تكون القوة القائمة بالالتفاف (حول جنب العدو) بعيدة ، بحيث يتعذر عليها أن تعاون ، أو تتلقى المعاونة من بقية القوات فى زمن قصير ، فتسمى المناورة حينئذ « حركة التفاف » . ويلاحظ فى (شكل ٣) أن القوة (ا) قريبة من بقية قوات الجيش ، وليست منفصلة عنها . بينما تعتبر فى (شكل ٤) قوة منفصلة ، تعمل بالارتباط مع القوة (ب) والقوة (ج) دون أن تكون على اتصال مباشر بهما .

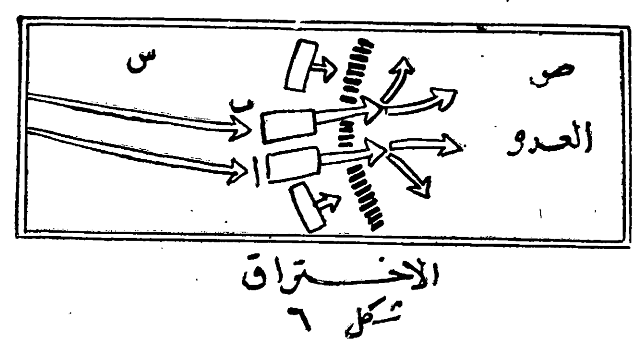


التطويق المزدوج
شكل ٥

« والتطويق المزدوج » هو تطويق العدو من كلا جنبيه . ففى (شكل ٥) تحاول كل من القوتين (ا) و (ب) قطع خطوط مواصلات العدو . وقد يتساءل البعض عما يحول دون اصطدام هاتين القوتين ، أو أن تقاتل إحداهما الأخرى . فالذى يحول دون ذلك أمور عديدة ، منها التقارير التى يرسلها قادة الأجنحة التى تبين مكانها ، ومنها استطلاع الطيران ، وتمييز القوات بعضها للبعض . ولا ريب أنه كثيراً ما قاتلت قوات متحابة ، ومن نفس الجيش ، بعضها البعض ، ليس فى عمليات التطويق المزدوج فقط ، وإنما فيما هو أبسط بكثير منها من عمليات . فعندما يحمى وطيس المعركة ، فقد تضل الوحدات طريقها ، أو لا تعرف مكان غيرها من الوحدات ،

ويكون من الطبيعي حينئذ أن تطلق الرصاص على كل متقدم من اتجاه العدو .

أما الاختراق فيحدث عندما تكون أجناب العدو محمية جيدا ، بحيث يتعذر الالتفاف حولها ، أو عندما يترك بعض المواقع ضعيفة فى قلب الخط المعادى كما فى (شكل ٦) .



الاختراق
شكل ٦

فعندما يدرك قائد الجيش (س) مدى الضعف الكامن فى قلب الجيش (ص) فانه يقوم بهجومين قويين بالقوتين (ا) و (ب) لاختراق هذا القلب ، ثم تدوران فى اتجاه الأسهم حول مؤخرة جناحيه القويين ، لقطع خطوط مواصلاته .

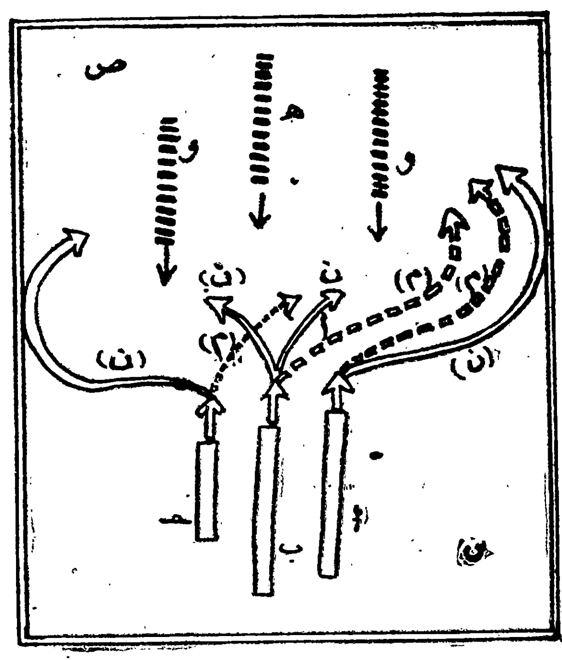
والتطويق ، والتطويق المزدوج ، وحركة الالتفاف ، والاختراق ، هى الأشكال الأربعة الرئيسية للهجوم ، التى تتبعها الجيوش دائما .

وهناك اصطلاحان على جانب كبير من الأهمية ، ولهما ارتباط وثيق بأشكال الهجوم هذه ، هما « المجهود الرئيسى » و « الهجوم التثبيتى » . فالقائد المهاجم يوجه ، فى جميع الأحوال ، معظم ما لديه من قوة ، نحو النقطة الضعيفة فى موقع عدوه ، ليحرز النصر فيها . أو بعبارة أخرى فانه يخصص « المجهود الرئيسى » لهذا الجزء من الموقع المعادى ، بينما يحاول فى أثناء ذلك أن يثبت بقية قوات العدو « بالهجمات التثبيتية » ، حتى لا يرسل منها شيئا لتعزيز الجزء الذى وجهت إليه الضربة الرئيسية

ففى (شكلى ٣ و ٤) تقوم القوة (ا) بالمجهود الرئيسى ، بينما تقوم القوتان (ب) و (ج) بالهجمات التثبيتية

وفى (شكلى ٥و٦) تقوم كل من القوتين (ا) و (ب) بالمجهود الرئيسى.

وعلى الرغم من أن الأمثلة السابقة تنطبق على المعارك (تكتيك) ، إلا أنها شرحت لإيضاح تلك المصطلحات التى تتبع أيضا فى الاستراتيجية .

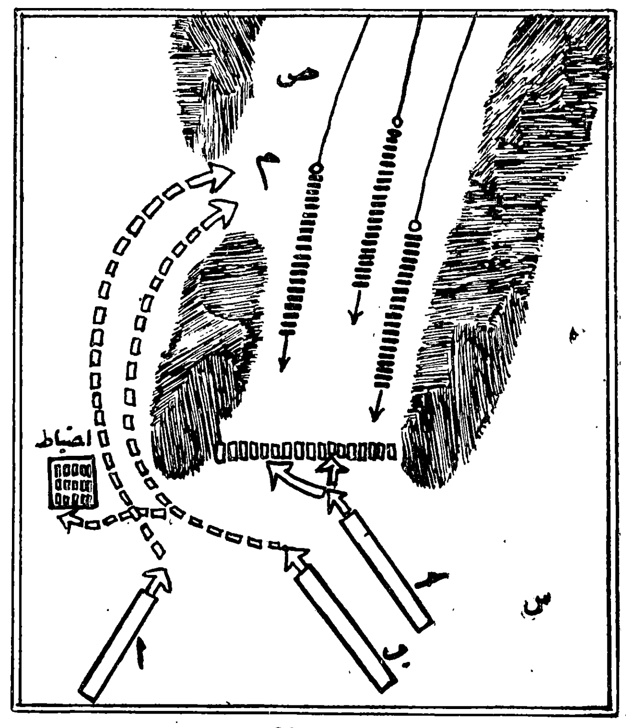


مناورات استراتيجيه
شكل ٧

وفى (شكل ٧) يتقدم الجيش (س) نحو الجيش (ص) . وعندما يقرر قائد الجيش (س) تطويق جنب الجيش (ص) الأيسر ، أو الالتفاف حوله ، فانه يحرك قولاته فى اتجاه الخطوط المرموز إليها بالحرف (م) ، فيقوم القول (ج) بهجوم تثبيتى يعاونه القول (ب) ، بينما يقوم القول (ا) بالهجوم من الجنب . أما إذا قرر قائد الجيش (س) أن يطوق الجيش (ص) تطويقاً مزدوجا ، فانه يدفع قولاته حينئذ فى اتجاه الخطوط المرموز لها بالحرف (ن)، فيقوم القول (ب) بالهجوم التثبيتى ، ويقوم كل من القولين (ا) و(ج) بحركة التطويق . وعندما يقرر قائد الجيش (س) القيام بالاختراق ، فيجب عليه

أن يجمع قولاته الثلاث ضد القوة المعادية (ﻫ) ، بينما تقوم أقسام من القولين (ا) و (ﺣ) بتثبيت القوات المعادية (د) و (و)

وكثيراً ما يستخدم اصطلاح «الاتجاه الاستراتيجى» فى الاستراتيجية ، ولكنه نادرا ما يستخدم فى التكتيك .



الاتجاه الاستراتيجى
شكل ٨

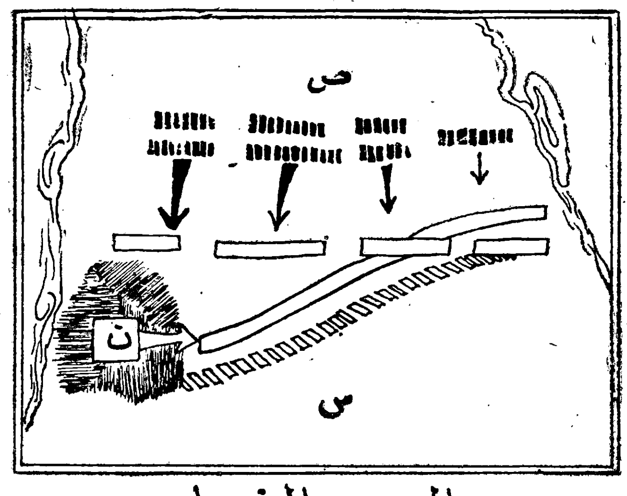
ففى (شكل ٨) يتقدم الجيش (ص) فى واد متسع ، بينما يتقدم الجيش (س) لمقابلته . ومن الواضح أنه من المتعذر إجراء حركة تطويق من الجنب ، كما أن الفرصة غير سانحة للقيام بالاختراق . ومع ذلك ، فقد لاحظ قائد الجيش (س) وجود الممر (م) ، وأدرك أنه لو قام بالهجوم من خلاله ، فسوف يقطع خطوط مواصلات الجيش (ص) . ويمثل الخطان اللذان يبينان تحرك كل من القوتين (ا) و (ب) « الاتجاه الاستراتيجى » الصحيح

الذى اتبعه قائد الجيش (س) فى ذلك الموقف . أى أن الاتجاه الاستراتيجى هو اتجاه التقدم أو الهجوم، الذى يجبر العدو على القتال فى المعركة فى أسوأ الظروف التى تتهيأ له .

واصطلاح « الاحتياطى » فى غير حاجة إلى تفسير . فكل قائد يتقدم نحو العدو ، أو يقاتله فى المعركة ، يحتفظ بجزء من قواته بعيداً عن الخط الأمامى ليواجه به الظروف الطارئة . أى أنه يضع بعض الوحــــدات فى « الاحتياط » فى مكان متوسط ، وراء خط القتال ، أو خلف محور تقدم القوات . وفى (شكل ٨) نجد أن قائد الجيش (س) ، عندما دفع القول (ب) فى اتجاه (م) ، قد احتفظ بجزء من قواته كاحتياطى فى (ن) ، ليستطيع من هذا المكان أن يعضد به الهجوم التثبيتى إذا كانت القوة (ج) فى حاجة إلى معاونة ، أو ليرسله خلال الممر (م) لمعاونة المجهود الرئيسى الذى تقوم به القوتان (ا) و (ب) .

ولقد اقتصر حديثنا إلى الآن على الهجوم ، وأغفلنا الدفاع . وهذا أمر طبيعى عند بحث الاستراتيجية . فمبادىء الاستراتيجية مبنية على الهجوم ، ولا يتخذ القائد موقف الدفاع ، إلا عندما تجبره الظروف عل ذلك ، أو إذا كان يبغى تجميع قواته للقيام بهجوم آخر . ولا يتم النصر فى الحرب بالتوقف انتظاراً لمجىء العدو ، وإنما بمهاجمة جيوشه وهزيمتها . أما الدفاع الذى يؤدى إلى النصر ، فمجاله المعارك لا الحروب .

بيد أن هناك اصطلاحا ، له أهمية حيوية فى الاستراتيجية ، وذا ارتباط بالدفاع ، وهو اصطلاح « الهجوم المضاد » أو « الهجوم الدفاعى » . فكثيرا ما يعجز القائد عن القيام بهجوم ناجح ، وحينئذ يلتزم « موقف الدفاع » يرتقب فيه الفرصة السانحة التى يخطىء فيها العدو ، أو تتعرض قواته ، فيهاجمها بغية هزيمتها فى مكان تعرضها كما فى (شكل ٩) .



الهجوم المضاد
شكل ٩

ففى ذلك الشكل يقوم الجيش (ص) بالهجوم على الجيش (س) لدفعه الى موقع الخط المنقوط . وقد أخفى قائد الجيش فى نفس الوقت احتياطية فى غابة كثيفة ، فلم يستطع قائد الجيش (ص) أن يكتشف مكانه . وكان واجب هذا الاحتياطى القيام « بالهجوم المضاد » على جنب الجيش (ص) ، كى يتسنى لقوات الجيش (س) أن تتحول من موقف الدفاع إلى الهجوم .

هذه هى المصطلحات والحقائق الأساسية ، التى تتطلبها دراسة مبادىء الاستراتيجية . ولا ريب أن تفسيرها هذا ، يلقى ضوءا على الغموض الذى يكتنف اللغة الفنية العسكرية ، المتداولة فى محيط الاستراتيجية .

الباب الثانى

أســـــاس الاستراتيجية

خطوط مواصلات الجيش هى أشد مناطقه تعرضاً ، ولذلك يتحتم عليه عند ما يهددها العدو ، أو يقطعها ، أن يدفع ذلك التهديد حتى تعود سيرتها الأولى ، وإلا حاقت به الهزيمة . فلن يتمكن الجيش من الصمود والقتال ، دون أن تصل إليه المعلومات والأوامر والإمدادات والمؤن .

وفى هذه الحقيقة البسيطة ، يتبلور أساس الاستراتيجية بأكملها .

وقد سبق القول بأن المناورة الاستراتيجية تهدف إلى دفع العدو كى يقاتل فى الظروف المواتية لخصمه ، وأفضل سبيل لتحقيق ذلك هو تهديد خطوط مواصلاته ، ولذلك يجب على الجيش ، عند ما تتعرض خطوط المواصلات لمثل ذلك التهديد ، أن يدفعه فوراً بالهجوم ، أو بإجراء المناورة التى تقلل من خطره . وعند ما يكون التهديد قوياً ، فقد يجبر العدو على الاندفاع إلى الأرض التى لا تلائمه فى القتال ، أو إلى الموقع الذى لاتتهيأ له فيه الظروف المواتية ، لمهاجمته هناك .

ويجب على الخصم عند ما يهدد عدوه بهـــذا الشكل ، أن يقى خطوط مواصلاته من هجوم العدو . وقد برز القادة العظام ، الذين يمجدهم التاريخ العسكرى ، منذ الاسكندر الأكبر إلى اليوم ، لأنهم أدركوا هاتين الفكرتين الأساسيتين ، وبنوا استراتيجيتهم عليها . وهذه الأفكار البسيطة ، ولو أنها ليست مبادىء الاستراتيجية ، إلا أنها الأساس الذى بنيت عليه هذه المبادىء التى تمكن القائد من استغلال الاستراتيجية بنجاح .

وليس لطبيعة الأرض ، أو اختلاف الطقس أو تطور الأسلحة أدنى

تأثير على الاستراتيجية السليمة ، التى تبنى على وقاية خطوط المواصلات ، ومهاجمة خطوط مواصلات العدو .

ويوضح هذه الحقيقة ، غزو بولندا فى الحرب العالمية الثانية .

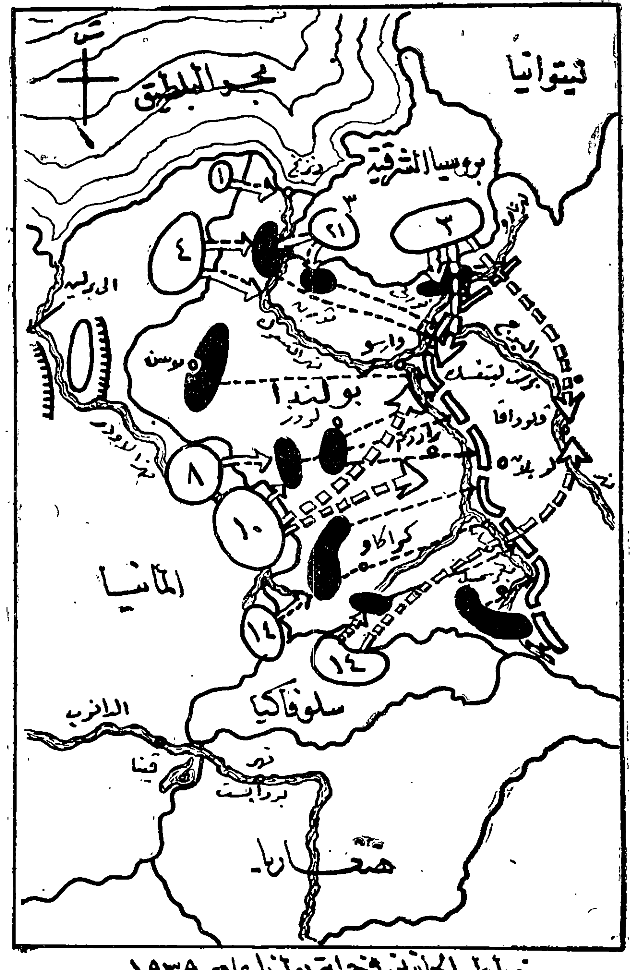
فنى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وفى نفس اللحظة التى أعلن فيها الألمان الحرب ، قامت جيوشهم بغزو بولندا ، وهزمت الجيش البولندى فى عشرة أيام . ثم سقطت وارسو بعد ٢٧ يوما ، ولم يمض أكثر من ٣٥ يوما منذ بدأت الحملة ، حتى كانت الجيوش الألمانية قد حطمت آخر عناصر المقاومة فى بولندا . ولم تكن النسبة العددية بين القوات الألمانية والبولندية تزيد عن نسبة ٢ : ١ . ويحدثنا التاريخ عن كثير من الأمم والجيوش ، كانت أسوأ حالا من بولندا ، ولكنها لم تجنح إلى التسليم بالهزيمة ، بل قاومت أمدا طويلا . بيد أن الاستراتيجية السليمة التى انتهجها الألمان ، والمبادىء التكتيكية الجديدة التى ابتدعوها ، حطمت بولندا فى أيام معدودات .

وتبرز الحملة الألمانية على بولندا ، بقيادة فون براوشتشك ، مثلا رائعا عن الهجوم على خطوط مواصلات العدو ، لطرده من مواقعه الدفاعية المجهزة إلى العراء ، حيث يسهل تحطيمه .

وكان الهجوم الألمانى « تطويقاً مزدوجاً » أو بالأحرى « تطويقا مزدوجا مركبا » .

وكان أعداء بولندا يحيطون بها ، فى عام ١٩٣٩ ، من كل جانب . فنصفها الغربى بأكمله ، الذى يحتوى على طاقة الدولة الصناعية ، تحاصره بروسيا الشرقية من الشمال ، وتشيكوسلوفاكيا ، التى وقعت بعد ذلك تحت السيطرة الألمانية ، من الجنوب . وكان خط الدفاع الطبيعى الوحيد فى بولندا ، يمتد على نهر ناريو (شمال شرق وارسو) إلى وارسو ، ثم منها جنوبا بغرب على امتداد نهر الفستولا ، إلى أن يلتقى بنهر سان ، ثم يستمر على امتداد هذا

الأخير. وكان ذلك الخط الدفاعى يقع خلف المنطقة الصناعية تماماً ، ولذلك وضع البولنديون خطتهم على أساس أن ينسحبوا وراءه ، بعد أن يقاتلوا العدو ، بغية الدفاع عن المناطق الصناعية الموجودة حول كراكاو ، ولودز



خطط الجانبين فى حملة بولندا عام ١٩٣٩
شكل ١٠

ووارسو ، أطول مدة ممكنة ، ويأمل أن يخف البريطانيون والفرنسيون لنجدتهم ، قبل أن يستولى العدو على تلك المصانع ، وما تنتجه من العتاد الهام .

وقد كان سر هزيمتهم ، هو تفكيرهم هذا ، فى ذلك الانسحاب البطىء .

واقتضى تنفيذ هذه الخطة ، تجميع القوات البولندية فى مجموعات ، كما هو

مبين فى (شكل ١٠) . وأطلق على كل مجموعة اسم أكبر مدينة تجاورها ، كمجموعة بوسن وثورن . . الخ . وكانت مجموعتا نورث وكاركاو تحميان الأجناب ، بينما كانت مجموعتا بوسن وثورن بعيدتين فى أطراف المنطقة . ولم يضع البولنديون أية مجموعات احتياطية خلف المجموعات الأخرى ، بل وضعوا وحداتهم الاحتياطية على طول نهر الفستولا .

وكان الألمان عن طريق الطابور الخامس، على علم تام بمواقع القوات البولندية . وعلى ضوء هذه المعلومات وضعوا خطتهم وحشدوا قواتهم .

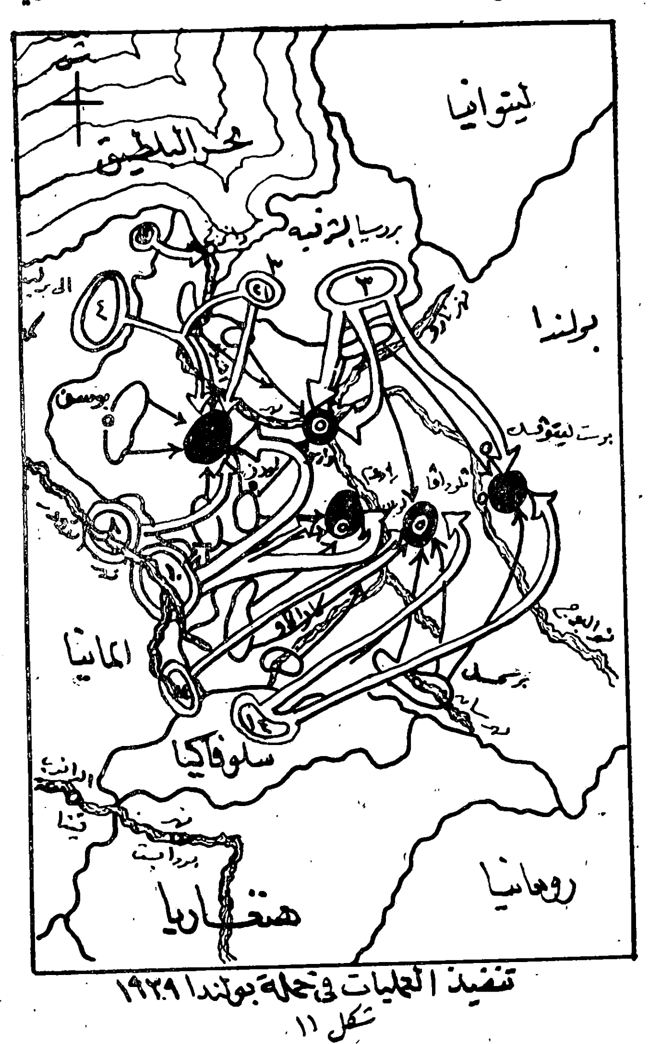
وكانت خطتهم بسيطة، قوامها أن يقوم الجيشان الرابع والثامن «بهجوم تثبيتى» فى اتجاه وارسو مباشرة، بعد أن يهزما مجموعتا ثورن ولودز ، وكذلك مجموعة بوسن إذا لم تنسحب . ويقوم الجيشان الثالث والعاشر بالمجهود الرئيسى ، فى شكل تطويق مزدوج للمجموعات البولندية الوسطى . ولكى يتم الألمان إحداقهم بالقوات البولندية جميعها ،كان على الجيش الرابع وجزء من الجيش الثالث القيام بتطويق مزدوج خارجى .

وهكذا وضعت الخطة بعناية فائقة ، ونفذت بكفاءة تامة ، فآتت نتائجها المرجوّة .

وقد وجهت إلى مجموعة لودز ضربة قاصمة بالمواجهة من الجيش الثامن ، وأخرى من الجنب من الجيش العاشر ، فانقسمت قسمين ؛ انسحب أحدهما إلى رادوم حيث حوصر ، وتقهقر الآخر قريبا من وارسو حيث أطبق عليه . كما حاقت الهزيمة بمجموعتى ثورن ونورث ، وردتا للخلف ، وكذلك دُفعت مجموعة كراكاو عبر نهر السان ، أما مجموعة بوسن فلم تتعرض للهجوم .

ولم يمض على الهجوم إلا ثمانية أيام ، حتى كان أحد فيالق البانزر من الجيش العاشر الألمانى ، قد وصل إلى وارسو . وفى ١٢ سبتمبر وصل الجيشان الثالث والرابع شرق وارسو ، وشمال غربها .

وفى أثناء ذلك ، وجدت مجموعة بوسن أن خطوط مواصلاتها قد هددت تهديدا خطيرا ، فالتفت وارتدت إلى وارسو ومواقع نهر الفستولا . وكان انسحابها بطيئا جدا ، واصطدمت شمال لودز بأقسام من الجيوش الألمانية الثامن والعاشر والرابع التى طوقتها ، وأسرت قواتها بعد قتال مرير .



تنفيذ العمليات فى حملة بولندا ١٩٣٩
شكل ١١

وبعد بضعة أيام ، اعترض الجيشان الثالث والرابع عشر فلول مجموعات كراكاو ونورث. وفى ٢٧ سبتمبر سقطت وارسو ، وانتهت الحملة على بولندا ، ولم تعد هناك ضرورة لإجراء التطويق الخارجى . وفى ظرف ثلاثة أسابيع

هزم ١٤٠٠٠٠٠ ألمانى ، ما يقرب من ٨٠٠٠٠٠ بولندى .

وقد اعتمد الألمان فى تنفيذ خطتهم هذه ، على الطيران لتدمير خطوط المواصلات الواقعة فى مؤخرة القوات البولندية ، وعلى الوحدات الميكانيكية خفيفة الحركة لتحقق نفس الغرض ، ولتخترق المواقع البولندية ، بينما تتبعها قوات المشاة ، للاحتفاظ بالأرض التى تستولى عليها . وكان هذا هو أحدث ما تمخض عنه فن الحرب . وقد أثبتت الحملة سلامة المبادىء التكتيكية الألمانية الخاصة باستخدام كل نوع من أنواع الأسلحة ، كما كان اتباعها مفاجأة أذهلت العسكريين فى العالم أجمع .

بيد أن الاستراتيجية التى اتبعت ، لم يستحدث فيها جديد . ففكرة اختراق أجنحة العدو ، وقطع خطوط مواصلاته ، فكرة قديمة قدم التاريخ الحربى .

فالقائد المنتصر ، بالهجوم حول جناح عدوه ، وبقطع خطوط مواصلاته ، أجبره على القتال فى الظروف التى أملاها المهاجم فعلا .

وأصبح لزاما على البولنديين أن يقاتلوا ليشقوا طريقهم ، ولم يعد فى استطاعتهم أن يحتلوا موقعا آخر ، انتظارا لهجوم فون براوشتشك . فقد منعت عنهم إمداداتهم ، وبعد بضعة أسابيع أضناهم الجوع ونفدت ذخيرتهم ، وازدادوا ضعفا إلى ضعفهم .

ولكى يحقق الألمان نصرهم التام ، وجب عليهم أن يتشبثوا بالمواقع التى استولوا عليها ، عبر خطوط المواصلات المعادية .

ولا ريب أن المهاجم يتمتع بجميع المزايا المتيسرة ، عندما تتم المعركة فى مثل تلك الظروف .

وقد حقق فون براوشتشك هدف الاستراتيجية الأساسى : فقد أجبر عدوه على الاشتباك فى معركة حاسمة ، فى الظروف التى تتيسر فيها للمهاجم جميع المزايا . فتمكن عند ما أحرز النصر فى المعركة ، من أن يحطم جيش العدو ، وبذلك انتهت الحملة ، واحتل الألمان بولندا .

وقد يبدو من النظرة الأولى (لشكل ١٠) كما لو أن القيادة الألمانية العليا، قد تركت فجوة فى قلب القوات الألمانية، كان يمكن من خلالها أن تشق مجموعة بوسن طريقها، وتدور شمالا، لتقطع الطريق على الجيش الرابع الألمانى.

غير أنه لم يكن من الممكن تنفيذ هذا فى ذلك الحين. فقد دعم فون براوشتشك مركزه بتحصينات قوية على طول نهر الأودر. وكان يرسل الإمدادات إليها باستمرار طوال الحملة، من احتياطيه الميكانيكى، فلم يتح للعدو الفرصة لكى يفسد خطته أو يربكها.

ومن هذا يتبين أن عباقرة القواد، كانوا يحافظون دائما على سلامة خطوط مواصلاتهم، فى الوقت الذى يهاجمون فيه خطوط مواصلات أعدائهم.

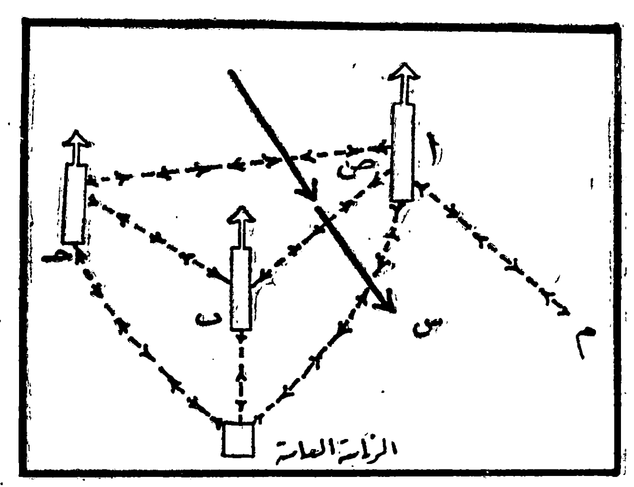
ولا ريب أن القائد الذى يهاجم العدو، دون أن يكفل الوقاية الكافية لخطوط مواصلاته هو، وهى أشد مناطقه تعرضا، يعرض نفسه للهزيمة بأيسر سبيل.

وخطوط المواصلات أعم من خطوط التموين، إذ ترسل عبرها الإمدادات، وتنسحب عليها القوات، وتبلغ بواسطتها الأوامر والمعلومات. ولهذا جميعه أهميته البالغة، ولكن تبليغ المعلومات والأوامر أكثرها أهمية.

وبينما ترسل المؤن عبر خطوط المواصلات الممتدة من الخلف فى أغلب الأحيان، فإن الإمداد بالقوات، وإبلاغ الأوامر والمعلومات، تصل عبر خطوط الإمداد والقيادة، التى تمتد من الخلف والجنب معا، ولذلك تكون مشكلة خطوط التموين أعظم.

ويوضح (شكل ١٢) ثلاث قولات تتحرك للأمام تحت إشراف الرئاسة التى فى الخلف. فإذا هدد العدو المنطقة (س) تهديدا خطيرا، فإنه يقطع بذلك عن القول (١) خطوط مواصلاته التى تمتد خلف المنطقة (س) من الجهة اليمنى، وكذلك خطوط المواصلات التى تصله ببقية الجيش، فيحول

دون إمداده بقوات من القولين الآخرين . كما أن الرئاسة لن تستطيع أن تصدر إليه الأوامر ، أو أن تتلقى منه المعلومات إلا عن طريق اللاسلكى ، وهو عرضة للتداخل المعادى ، أو بواسطة الطائرة التى يستطيع العدو أن يجعل مهمتها شاقة . أما عند ما يتوغل العدو إلى المنطقة (ص) فقط ، فحينئذ يمكن دفع التهديد الموجه إلى القول (ا) .



خطوط المواصلات العرضية
شكل ١٢

ويحمل قطع الاتصال بين وحدات الجيش من التهديد ، ما يحمله قطع خطوط التموين . ويكثر حدوثه لسهولة تنفيذه . فخطوط المواصلات الجانبية ، لقربها من الجبهة ، ومن العدو ، تمكنه فى كثير من الأحيان ، عندما يتقدم مسافة قصيرة ، من أن يجبر خصمه على اتخاذ الإجراءات الوقائية ، أو إجراء المناورة ، لإيقافه .

وإذا كان قطع تلك الوصلات التى تصل بين الوحدات ، لا يحول دون وصول التعيينات والذخيرة إليها ، وبذلك يمكنها أن تستمر فى القتال ، فما الذى يجعل منها استراتيجية سليمة ؟

الجواب على ذلك ، أن الوحدات عندما تقاتل وهى على مقربة من بعض ،

تحدث بينها المعاونة ، والوقاية المتبادلة ، أما عندما تنفصل هذه الوحدات ، فحينئذ تسهل هزيمتها . فإن الخط المقاتل الطويل، لايكون له إلا جنبان فقط ، ولكنه عندما ينقسم إلى ثلاثة خطوط مثلا ، يصبح له ستة أجناب .

ولذلك فإن القائد ، عندما تسنح له الفرصة التى تمكنه من أن يقسم الجيش المعادى إلى قسمين أو أكثر ، بقطع خطوط مواصلاته العرضية ، وهو ما يطلق عليه « هزيمة العدو قسما قسما » فإنه لن يتوانى فى استغلالها ، بأن يقوم غالبا بالاختراق ، لا بالتطويق الذى يهدف إلى قطع خطوط المواصلات الخلفية .

ويتم تهديد خطوط موصلات العدو أيضا على نطاق واسع ، فلا يقتصر على المعارك والحملات وحدها ، وإنما يمتد إلى مسرح العمليات بأكمله . وإذا تمكن العدو من قطع خطوط التموين فى الدولة المحاربة ، لاستطاع أن يلحق بها الهزيمة . وفى الحرب العالمية الأولى مثال صادق على ذلك ، فقد أضعف الحصار الذى ضربه الحلفاء على ألمانيا من مقاومة الشعب الألمانى ، للدرجة التى عجلت بانهياره، عندما حلت بالجيش الهزيمة العسكرية .

وللقوات البحرية دور كبير فى ذلك التهديد ، فطرق المواصلات البحرية ، وخاصة المحيطات الشاسعة ، كانت دائما من خطوط المواصلات المثلى للجيوش فقد ارتكز الاسكندر الأكبر فى فتوحاته على الساحل الشرقى للبحر الأبيض ، وكانت الطرق البحرية الواصلة إلى مقدونيا، تكون القسم الأكبر من خطوط تموين جيوشه . وقد ألحقت انجلترا الهزيمة بقوات نابليون ، بعد أن سيطر أسطولها على خطوط المواصلات البحرية ، فتمكنت من نقل القوات والمؤن بحرًّية، إلى المكان الذى استخدمت فيه فضل استخدام . وكذلك تم عن طريق خطوط المواصلات هذه، إمداد الجيوش التى انتصرت فى أسبانيا، وفى واترلو.

والغرض الحقيقى من القوات البحرية ، هو إنشاء خطوط مواصلات الجيوش ، وحمايتها . وحيث أن السفن الحربية لا يمكنها أن تتقدم فى البر ،

ولا أن تحتل أراضى العدو ، فلن تستطيع أن تقرر النتيجة النهائية فى القتال ، وإنما تقررها الجيوش فقط . فالقوة البحرية تنقل الجيوش ، وتمونها ، وتمنع وصول مؤن العدو إليه . وإذا كانت أرض العدو جزيرة ، فيمكن حينئذ حصارها ، وإجاعتها ، بعد السيطرة على البحار . وكلا اليابان وانجلترا عرضة للهزيمة بهذا الشكل .

ولذلك يجب أن يكون للقوة البحرية اعتبارها ، عند وضع خطط الجيش الاستراتيجية ، عندما تكون الدولة المحاربة مواصلات بحرية .

وطالما أن هزيمة الجيوش يمكن تحقيقها بتهديد مواصلاتها ، وطالما كانت القوات البحرية تسيطر على أعظم خطوط المواصلات اتساعا ومرونة ، وأقلها تعرضا للقطع ، فستظل عنصرا هاما فى معظم الحروب ، وعاملا حاسما فى كثير منها . والقوة البحرية الحديثة قوامها السفن المقاتلة ، وطائرات القتال أيضا ، تماما كما تشمل القوة البرية ، الوحدات الجوية اللازمة لمعاونتها .

والأساس الذى بنيت عليه عقيدة القوات الجوية ، هو الهجوم على خطوط المواصلات . فقاذفات القنابل إذا استخدمت بأعداد كبيرة ، تستطيع أن تدمر خطوط مواصلات العدو وقواعده ، لتمكن القوات البرية ، وقوات الهابطين بالمظلات من التقدم دون مقاومة تذكر . وليست هذه الفكرة بمستحدثة ، ولكنها تطبيق الرأى الاستراتيجى القديم الخاص بالهجوم على خطوط تموين العدو ، لإجباره على القتال فى المنطقة التى لا تلائمه . وقد وضح فى حملة بولندا عام ١٩٣٩ ما للقوات الجوية من قيمة كبيرة فى معاونة المجهود الحربى للدولة ، حتى قبل أن تشتبك جيوشها بجيوش العدو .

لقد وضح الآن الأثر المادى لقطع خطوط المواصلات ، وبرزت أهميته فى التحركات الاستراتيجية للقوات ، بحيث يتم الهجوم حول الأجناب ، أو من خلال الجبهة المعادية ، بغية الوصول إلى مؤخرة العدو ، حيث تمتد

خطوط مواصلاته . ولكلمة « المؤخرة » هذه أهمية كبرى من الناحية السيكولوجية .

فالجندى يزود فى الحرب بالعتاد والأسلحة التى تكفل حمايته ، وتمكنه من صد الهجوم الذى يوجه إليه من الأمام ، لا من الجنب، أو الخلف . ولكنه عندما يهاجم من هذين الاتجاهين ، يصيبه الذعر ، وقد يركن إلى الفرار !

ولا يمكن التهوين من شأن هذه الطبيعة البشرية فى الحرب . فأقدر القوات سوف ترتد من مواقعها الحصينة ، عندما تهاجم فجأة من الخلف . أما القوات غير المقتدرة ، فستفر مذعورة . وإن مجرد التهديد بمثل هذا الهجوم ، أو بث الإشاعات عنه، يؤدى إلى توقف القوات التى نجحت فى تقدمها، أو إلى ارتدادها.

وهذه الخاصية الإنسانية ، لما لها من أثر بالغ ، تجعل من جنب العدو ، أو مؤخرته ، أفضل مكان لمهاجمته فيه . وكان هذا هو الأساس الذى بنيت عليه الاستراتيجية الناجحة ، التى انتهجها عباقرة القواد ، فى حروبهم الظافرة .

وقد لحق التطور بالآراء القديمة المتعلقة بخطوط المواصلات ، فازدادت أهميتها كثيراً بتقدم المدنية .

فلم تكن تعتمد الجيوش القديمة اعتمادا كبيرا على وصول الاحتياجات اللازمة لإعاشتها ، كاعتماد الجيوش الحديثة عليها اليوم . فكان المغول بقيادة جنكيزخان، يعيشون على موارد البلاد التى يحتلونها، ولم تعد أسلحتهم السيوف، والسهام، والقسى، والحراب ، التى كانت تصنع جميعا فى ميدان القتال . وكانت خيولهم ترعى الأعشاب النامية ، فى المناطق المحيطة بهم ، فلم تدع الضرورة لوجود قواعد التموين الكبيرة ، ولا خطوط التموين الآمنة ، التى تصل بين هذه القواعد ، وبين الجيش المحارب . وكان جيش المغول يتحرك كيف يشاء ، وإلى أى مكان أراد ، تماما كالوحوش الضارية فى الغابات . فكانت خفته فى الحركة فائقة ، فتحرك مسافة ٢٥٠ ميلا فى ثلاثة أيام ونصف ، تحروك

مرة أخرى ٢٠٠ ميلا فى ثلاثة أيام وكانت هزيمته ، لا تتحقق، إلا بتحطيم الجيش المقاتل بأجمعه .

أما الفرق الرومانية ، فلم تكن لها سرعة القوات المغولية فى التقدم ، وكانت تحمل معها من المؤن ما يكفيها أسابيع عدة ، وتعيش فى الأغلب على ما تخرجه الأرض ، وتعتمد على ما تنتجه الموارد المحلية فى المناطق المجاورة ، وترعى خيولها كما كانت ترعى خيول المغول . وكانت أسلحتها هى السيوف القصيرة، والنبال، بينما يلبس جنودها الدروع الجلدية، والمعدنية ، والخوذات ، والمجنات ، ويقوم بإصلاح مهماتها فى ميدان القتال ، العمال الذين يرافقون القوات ، كما كان يتم إنتاجها أحيانا بالاستعانة « بحدادى » البلاد التى يقاتل فيها الجيش .

ولأن الفرق الرومانية كانت تعتمد على الموارد المحلية فى إطعام الجنود، فقد كان من الممكن تضييق الخناق عليها فى رقعة بسيطة من الأرض ، إلى أن تنفد المؤن التى بها .

وإلى هذه اللحظة من تاريخ الحرب ، لم تَدْعُ الحاجة إلى إنشاء قاعدة للتموين . فان جيش المغول ، كان فى واقع الأمر ، شعبا يشن الحرب ومعه قواعده ، أما الرومان ، والشعوب المتمدينة الأخرى ، فكانت قواعدها فى أرض الوطن ، وكان من الممكن هزيمتها جزءا جزءا ، بقطع الإمدادات عنها ، وذلك إذا لم يتيسر هزيمتها بوسيلة أخرى . ومن هنا يتضح أيضاً أن الجندى يزداد عزمه فى القتال ، عندما لا يخشى عدوا يأتيه من المؤخرة، أو الجنب ، وأن القائد يمكنه أن يضع خطة أفضل ، عندما يعلم أن خط إمداده وتموينه وانسحابه سيظل مفتوحا .

ومنذما استقرت القوات فى منطقة واحدة ، أصبح لزاما على القواد أن يوجهوا اهتمامهم إلى خطوط مواصلاتهم .

ومنذ عهد الفرق الرومانية ، ازدادت أهمية التموين باستمرار . فظهرت الجيوش « المترفة » التي بلغت أوجها في العصور الوسطى . فكان النبلاء المحاربون ، يرافقهم جموع من الخدم ، ويعيشون على المشروبات الفاخرة ، واللحوم الشهية ، ويلبسون الثياب الغالية ، وينامون في الخيام الحريرية .

ثم ظهر البارود في القرن الرابع عشر ، واستخدم في القتال . وبازدياد استخدامه ، زادت أهمية خطوط التموين فإن « حداد القرية » لا يستطيع أن يصنع المدافع، والذخيرة، والبارود ، بل تصنعها المصانع الموجودة في الخلف، في أرض الوطن ، ثم ترسل بعد ذلك إلى جبهة القتال . ولا فائدة ترجى من الجيش الذي يفتقر إلى الأسلحة والذخيرة .

وهكذا أنشأت القوات المقاتلة منذ ذلك الحين ، ذلك العنق الطويل المعرض من خطوط التموين ، وظل باقيا إلى الآن .

ثم ضاعف اختراع مدافع الماكينة ، والمدفعية ، والعربات ، والدبابات، وغيرها من المعدات الميكانيكية ، من كميات الاحتياجات المطلوبة ، إلى نسبة خيالية ، كما ضاعفت سرعة المركبات المتزايدة ، وبالتالي المسافات الكبيرة التي تستطيع أن تتحركها الجيوش اليوم ، من المشاكل الإدارية . وزاد اعتماد الجيوش تدريجيا على المؤن ، إذ أصبحت لا يمكنها أن تتحرك بدون الوقود ، ولا أن تطلق النيران بلا ذخيرة .

وأضفى اختراع الطائرة واللاسلكي ، تحسينا كبيرا على المواصلات ، وخاصة للوحدات المنفصلة . وتستطيع طائرة النقل أن تنقل كميات كبيرة من الجنود والمؤن ، ولكنها لم تستطع أن تحل محل خطوط المواصلات البرية والبحرية . وقد وضح ذلك خلال حصار ستالينجراد في الحرب الماضية .

ولذلك أصبح الهجوم على خطوط مواصلات العدو ، أكثر من أي وقت مضى ، هو الأساس الذي تبنى عليه الاستراتيجية اليوم .

وليس فى الحرب عمليتان متشابهتان . ولذلك يختلف الأسلوب الذى ينتهجه القادة ، أو القائد الواحد نفسه ، فى المواقف المختلفة ، لكى يحرز النصر . وأيا كان الأسلوب المتبع ، فيجب أن يبنى على مبادىء الاستراتيجية. وقد تأيدت سلامة هذه المبادىء ، كما ثبتت صحة الآراء المرتبطة بخطوط المواصلات ، والهجوم على المؤخرة ، فى القرون المتعاقبة .

وقد نشأ الخلاف حول تسمية بعض هذه المبادىء ، أو الاعتراف رسميا ببعضها ، غير أن ذلك لم يكن له قيمة .

وهذه المبادىء هى :

المبادأة

المفاجأة

الحشد

خفة الحركة

البساطة

التنسيق

التعاون

توحيد القيادة

ويمكن أن يضاف إليها مبدأ المواصلات ، الذى ربما يقول قائل إن المبادىء الأخرى ، كالتنسيق ، والتعاون تتضمنه ، وهذا حق ، غير أن ازدياد رقعة مسرح الحرب ، قد أضفى على المواصلات أهمية كبرى ، بحيث يصبح من المستحسن أن تكون مبدأ قائما بذاته .

وستوضح الدراسة التفصيلية لهذه المبادىء ، فى الأبواب التالية ، أنها مبادىء حية ، رغم ما يبدو على أسمائها من جفاف .

وقد تجلت عبقرية القادة العظام ، فى تطبيقهم لهذه المبادىء .

الباب الثالث

المبـــــــادأة والمفاجأة

فى خلال الأسبوعين : الأخير من شهر أكتوبر ، والأول من شهر نوفمبر عام ١٩٤٣ ،أعلن راديو المحور باستمرار،عن وجود قوافل متحالفة كبيرة ، فى ميناء جبل طارق ، تتكون من سفن حربية ، ومدنية . كما أكد أن القوات المتحالفة ، ستقوم بغزو أفريقيا الفرنسية . وقد أرسلت حكومة فيشى الأدميرال دارلان ، للقيام بجولة تفتيشية فى المستعمرات الفرنسية ، لضمان ولائها ومعاونتها .

وكانت جميع المظاهر الخارجية ، تدعو هتلر إلى توقع حدوث هجوم على تلك المنطقة . واستعدت هيئة الأركان حرب الألمانية ، بناء على هذا الظن لمجابهته . وكان من الواضح ، أن فرنسا على علم بهذا الهجوم ، وأنها تعد العدة لصده .

ولا ريب أن الشك ساور كل رجل عسكرى ، ومعلق حربى ، بالنسبة لاحتمال القيام بحملة فى أفريقيا . كما أن ألوفا من المدنيين ، كان يراودهم نفس الشعور ، شهراً بأكمله . وقد صرحت إحدى الصحف الأمريكية فى ٨ نوفمبر عام ١٩٤٢ ، بأن غزو أفريقيا «أحد أسرار هذه الحرب الخطيرة» .

ومع ذلك ، فبعد أن هاجمت قوات الحلفاء الشاطىء الأفريقى ، من الدار البيضاء إلى الجزائر ، فى ٧ نوفمبر عام ١٩٤٢ ، ظهر أن القيادة العليا لقوات المحور، فوجئت بهذا الهجوم، وبهذه المفاجأة، تم احتلال المستعمرات الفرنسية بنجاح سريع مذهل .

وفى ١٦ أبريل عام ١٩١٧ ، شن الفرنسيون هجومهم فى شامبين ، فى

الجبهة الغربية ، بقيادة الجنرال نيڤيل ، الذى سبق له أن أحرز نجاحا رائعا فى الفردان،فى ديسمبر عام ١٩١٦ ، باتباعه بعض الأساليب الحديثة الناجحة فى الهجوم ، تلائم الظروف التى كانت قائمة وقتذاك . وعلى الرغم من أن التفوق العددى كان فى جانبه ، إلا أنه عند ما بدأ الهجوم ، حدثت أفظع مجزرة فرنسية فى الحرب بأجمعها . فقد عرف الألمان موعد الهجوم ، ومكانه ، والأسلوب التكتيكى الذى سيتبع فى تنفيذه ، فألحقوا الهزيمة بالحلفاء ، الذين كان يغمرهم التفاؤل منذ البداية . وكان ذلك الهجوم واحدا من العمليات المعدودة ، التى باءت بالفشل الذريع فى التاريخ الحربى . وقد أحدثت نتيجته البشعة ، فتنة فى الجيش الفرنسى ، كادت تتيح للألمان أن ينتصروا فى الحرب العالمية الأولى .

هذان مثلان من الحرب العالمية الثانية ، والحرب العالمية الأولى ، يبعثان على التساؤل عما جعل من هجوم الحلفاء فى شمال أفريقيا،مثلا رائعاً للنجاح العظيم فى تحقيق « المفاجأة » ، بينما كان يبدو أن الأسباب لم تتهيأ له ، وعن السبب فى فشل الهجوم الفرنسى فى شامبين ، عند ما كان يـــلوح أن نجاحه محقق .

وفى الجواب على هذا السؤال ، خير تفسير لمعنى « المبادأة والمفاجأة » ، عن أى شرح نظرى .

فلنسأل أولا عن المشكلة التى كانت تجابه قادة الحلفاء فى غزو أفريقيا . لقد كان للمفاجأة وجهان ، أحدهما مادى والآخر نفسى . فكان من الضرورى أن يبقى الهجوم سرا . وكانت تبعد الولايات المتحدة ٣٥٠٠ ميلا عن منطقة الهجوم ، وتبعد الجزر البريطانية حوالى ١٥٠٠ ميلا عنها ، بينما كانت دولتا المحور فى البحر الأبيض المتوسط . فلو أحاطت هاتان الدولتان علما بأمر الهجوم ، لأصبح من السهل عليهما ترقبه ، خاصة وأنهما تتمتعان بجميع مزايا الوقت والمسافة . ولذلك أصبح لزاما أن يظل السر فى طى الكتمان ، إلى

الوقت الذى لا تتيح لهما معرفته فيه ، تنظيم أية عملية مضادة ، ولا تنفيذها.

وتضمنت المشكلة المادية ، تجميع القوات اللازمة ، وتجمع القوافل البحرية التى ستقوم بنقلها ، واستعداد القوات البحرية لحماية هذه القوافل ، ثم تحرك ذلك الجيش المحمول بحرا ، بعيدا عن الشواطىء التى سيتم غزوها .

وأمكن المحافظة على السرية أثناء تدريب الجنود والسفن ، بأن اقتصرت معرفة الخطة على أقل عدد من الضباط العظام ، الذين صدرت إليهم الأوامر الصارمة بعدم إفشائها . ومن اليسير إصدار مثل ذلك الأمر ، بأن يقول الآمر به « سنقوم بغزو أفريقيا ، وعليكم إجراء جميع التحضيرات اللازمة ، دون أن يحيط أحد علما بذلك » ، ولكن غالبا مايتعذر تنفيذه . فعلى سبيل المثال ، كان الفيلق المدرع ، بقيادة الجنرال باتون ، الذى كان قائماً بالتدريب فى صحراء أريزونا ، سيستخدم فى الحملة . وعندما صدرت إليه الأوامر بالتحرك شرقا ، أدرك الأذكياء من جنوده ، أنهم سيتوجهون نحو افريقيا ، كما عرفت عائلاتهم ، وأصدقاؤهم ، وأحباؤهم ، أنهم تحركوا أيضاً ، فقد انقطع وصول الخطابات إليهم ، أو تغيرت عناوين إرسالها .

ولم يكن ذلك فى ذاته دليلا ، أو إفشاء لوجهة التحرك ، فقد يرسل الفيلق لتعزيز الجيش الثامن البريطانى فى الصحراء الغربية . غير أن تدريب جنوده قبل تحركهم ، على نطاق واسع ، على عمليات « النزول فى الشواطىء المعادية » ، ورؤية كثير من المدنيين هذا التدريب ، الأمر الذى لامناص منه ، ولا حيلة فيه ، رجح استنتاجهم .

ثم ذاع أمر تدريب القوات المدرعة على حرب الصحراء . وظهرت هذه الوحدات فى الشواطىء الأمريكية ، للتدريب على تكتيكات الغزو . وكان من السهل على العدو ، لو أحاط علما بذلك ، أن يستنتج ما يحتمل حدوثه .

تلك كانت هى المشكلة الأولى ، وتم التغلب عليها بنجاح .

وأمكن إخفاء حجم القوات التى ستستخدم ، بتجميع أقسام متفرقة منها فى أماكن متعددة . فقد تحركت عناصر كثيرة من تلك القافلة الضخمة ، من عدد من الموانى فى الولايات المتحدة ، وأتى قسم كبير منها من موانى عدة فى انجلترا وإيرلندا . وبغض النظر عن كفاءة عمليات النقل ، فقد كان تنفيذ ذلك بمثل هذه الطريقة ، يجعل من العسير على العدو ، أن يقرر حجم القوة التى سيواجهها ، إلا إذا كان له جواسيس فى كل ميناء ، وكان اتصاله بهم محكما وسريعا .

وكان اتباع ذلك أحد الأساليب الرئيسية فى تعمية العدو ، وذلك بإخفاء حجم قوة الهجوم ، أى « بالمفاجأة فى القوه » .

وانحصرت المشكلة بعد تنفيذ خطط التجمع ، وتجهيز القوات بالمعدات ، وتجميع السفن ، وما إلى ذلك من التحضيرات التى انتهت بركوب الجنود فى السفن ، انحصرت المشكلة فى تحرك مجموعات السفن إلى المواقع التى ستقوم منها بالهجوم بحيث لا يكتشفها العدو ، وكان يعترضها عقبتان كبيرتان هما الغواصات الألمانية ، ومضيق جبل طارق .

ولا تستخدم الغواصات كى تقاتل فحسب ، ولكنها تعمل أيضاً فى الاستطلاع بدرجة عظيمة من الكفاءة ، كنقط للملاحظة ، أو كداوريات. وعندما لا يكون القائد البحرى على يقين من مواقع خصمه أو تحركاته ، فإنه يرسل شبكة من الغواصات ، تنتشر فى المناطق التى يحتمل أن يجرى العدو فيها مناوراته . وتستطيع الغواصة ، بعد أن تغوص تحت الماء إلى العمق الذى تسمح به تلسكوباتها ، أن ترى دون أن تُرى ، وتبلغ عن العدو بعد أن تحدد موقعه ، ثم تترك المنطقة .

ولذلك كان من المحتمل ، لا بل من المؤكد ، أن ترقب الغواصات معظم القوافل القادمة من انجلترا والولايات المتحدة .

فماذا كانت الاحتياطات التى يمكن اتخاذها حيال ذلك ؟ وكيف كان يمكن المحافظة على سرية التحرك ؟ نعم لم يكن من الممكن أن يبقى أمر التحرك سرا ، ولكن كان فى الإمكان المحافظة على سرية وجهته . وقد اتخذت الإجراءات التى دفعت الألمان على الاعتقاد بأن داكار وافريقيا الغربية هما منطقتا الغزو . كما كان الاتجاه الذى اتبعته القوافل فى تحركها ، حتى اقتربت من أهدافها، يؤكد ذلك .

وكان هذا خداعا بالنسبة للهدف ، أى « المفاجأة فى نقطة الهجوم » وهو من الوسائل الأساسية فى تحقيق المفاجأة . فغالبا ما يتعذر إخفاء نية الهجوم عن العدو ، ولكن إذا أمكن خداعه عن المكان الذى سيوجه إليه الهجوم ، أو عن القوة التى ستشنه ، لمكّن ذلك من تحقيق المفاجأة .

أما مضيق جبل طارق ، فيقع بين أسبانيا ومراكش الأسبانية ، وكلتاهما موالية للمحور ، وفى إحداهما يجوس جواسيس العدو وعملاؤه . وكانوا يرسلون التقارير التفصيلية عن أية قافلة تتحرك فى ذلك المضيق ، أيا كان حجمها ، إلى الألمان والإيطاليين . كما يقع ميناء جبل طارق تحت الملاحظة المستمرة من « لالينيا » فى أسبانيا ، وبذلك تعرف كل سفينة ترسو فيه . وكان يتطلب الهجوم على ساحل شمال افريقيا الفرنسى فى البحر الأبيض ، أن تمر القوة المهاجمة من ذلك المضيق ، حيث لا يتيسر إخفاؤها . ولم يتعلق الحلفاء بالأوهام فى خداع أعدائهم ، بعد وصول قافلة قوامها مئات من السفن إلى هذه المنطقة ، بل أصبح الأمر سباقا بينهم من جبل طارق ، وبين المحور من إيطاليا ، كما وضعوا فى حسبانهم احتمال أن يُنْذَرَ الفرنسيون ، فيتيح ذلك لهم الفرصة لتجهيز دفاعاتهم .

ولكن على الرغم من ذلك ، فإنه أمكن خداع المحور حتى فى هذه المرحلة ، وذلك بالتبرير المنطقى لوجود مثل هذه القافلة الكبيرة فى جبل طارق . فقد توجهت منه فى العام الأسبق فى مرات ثلاثة ، قوافل كبيرة

لتعزز حامية جزيرة مالطة . وكان يتخذ المحور فى كل منها إجراء مضاداً أقوى من سابقه ، مما اجبر البريطانيين على تعزيز قوافل الحراسة البحرية ، وزيادة الوقاية الجوية ، فى كل مرة تالية . وكانت الهزيمة التى لحقت بروميل فى الصحراء الغربية ، فرصة منطقية لإعادة تعزيز الحامية العنيدة المحاصرة . وكذلك كان من المعقول أن تزداد قوة القوافل وسفن حراستها ، بعد الخسائر الكبيرة التى لحقت بها فى المرتين السابقتين .

وكان مما يزيد من رسوخ هذه الفكرة فى تفكير القيادة الألمانية العليا ، تجمعات السفن بلا عجلة فى المضيق ، لأنها تدرك أنه يتعذر على أية قافلة أن تتسلل إلى مالطة . ولا ريب أن التقارير التى أرسلت فى خلال أسبوعين ، عن تجمع السفن المتحالفة بمثل هذه الطريقة المتعمدة ، جعلت المحور يعتقد أنها ليست إلا قافلة إمداد وتعزيز فحسب ، يستطيع عندما يعرف موعد إبحارها ، أن يعهد إلى قواته الجوية فقط أن تحطمها فى مضيق صقلية .

وحقق الحلفاء المفاجأة مرة أخرى ، بإخفاء نقطة الهجوم ، بأن جعلوا الموقف يبدو مماثلا لبعض المواقف التى حدثت من قبل ، مع حرصهم على إشعار العدو بأنهم لا يحاولون خداعه .

وتمت الخطوة الأخيرة فى تحقيق هذه المفاجأة بالخيانة ، وهى أسلوب يقره القانون والخلق فى الحرب . فعلى الرغم من أن الخونة يعدمون شنقاً إذا ألقى القبض عليهم ، فإن البلاد التى تفيد من فعالهم ، لا تكون قد ارتكبت عملا غير مشروع .

وقد نجح عملاء الحلفاء ، قبل بدء الحملة ، فى استمالة بعض القادة الفرنسيين إلى جانبهم فى الوقت الذى كان يثق العدو بهم . وكان وجود هؤلاء القادة ، مثل الأميرال دارلان ، فى أفريقيا قبل الهجوم مباشرة ، متظاهرين باتخاذ الإجراءات اللازمة لمقاومة مثل هذه الحملة ، مما يزيد من ثقة المحور فيهم ، كما اعتقد المحور أن مقـــاومة الفرنسيين العنيفة

سوف تيسر الوقت لمجيء القوات الألمانية والإيطالية، لمساعدة المستعمرات قبل أن يتوغل هجوم الحلفاء فيها إلى مدى بعيد. ولذلك لم ير ضرورة لاستعدادات أخرى، فقد كانت القوات التعطيلية لحكومة فيشي من القوة، بحيث تكفي لمجابهة الموقف مباشرة.

ويبدو أن خطأ الألمان هذا في تقدير الموقف، كان أشد أخطائهم جسامة، فقد كانت المقاومة الضعيفة التي أبداها الفرنسيون، أعظم مفاجأة واجهت القيادة الألمانية العليا في الحملة بأكملها.

وكان ذلك أيضا أهم عامل في نظر قيادة الحلفاء، لأنه أيا كانت درجة انخداع المحور بالنسبة لأهدافهم وقوتهم، فلا ريب أن مقاومة الفرنسيين القوية الفعالة، كانت تكسب المحور الوقت الذي يمكنه من إحضار إمداداته، وبذلك يقل إلى درجة كبيرة ما لعناصر المفاجأة الأخرى من قيمة.

ويضيف هذا إلى «المفاجأة في القوة»، و«المفاجأة في نقطة الهجوم» الأسلوب الثالث الذي اتبع في هذه الحملة، وهو «المفاجأة عن طريق الخيانة»

وقد تم تعزيز الوسائل المادية التي استخدمت في خداع العدو بحيل سيكولوجية. فكثيراً ما تمكن الظروف في موقف ما، من بلبلة معلومات العدو عن تصميم خصمه، أو تضليله، وذلك بخلق «جبهات زائفة»، أو بإجراء تحركات في اتجاهات متعددة، أو باستخدام الدعاية.

وقد استخدم هذا العنصر السيكولوجي، في حملة شمال أفريقيا، بأعظم تأثير، فقد كان للضجة القائمة وقتئذ عن فتح الجبهة الثانية في أوروبا فائدة عظمى، ولم يكن استمرارها خلال الصيف السابق، واتساع نطاقها، إلا ليزيد من تركيز الأنظار على ساحل أوروبا الغربي. كما كان فشل الحلفاء الظاهري، في فتح هذه الجبهة ذا قيمة كبيرة، لأنه أفعم قادة المحور بالسرور، وزاد من يقينهم بسيطرتهم على الموقف، بحيث لم يعودوا يفكرون فيما كان يجري وراء ظهورهم.

وكان للحديث عن داكار قيمة بالغة فى الموقف ، فقدكان الرسميون فى حكومة الولايات المتحدة ، والجرائد ، والمعلقون ، يحذرون منذ أكثر من سنتين ، من خطر وجود داكار فى يد المحور . وبعد أن وضعت خطة الحملة فى أفريقيا ، زيدت هذه الضجة ، وعززها نزول قوات الولايات المتحدة فى ليبريا . وقد استخدمت كل وسيلة من وسائل الدعاية ، لتحمل العدو على الاعتقاد بأن داكار هى محط أنظار الحلفاء فى أفريقيا الشمالية .

كما أعلن البريطانيون عن وجود أسطول مقاتل فى المحيط الهندى ، وبذلك لفتوا الأنظار إلى الهند . كما اتخذت الترتيبات الكثيرة التى تنبىء بقرب القيام بحملة على بورما ، فأصبح وجود الأسطول هناك أمراً طبيعياً .

وقد كان إصرار الحكومة الأمريكية على المحافظة على علاقاتها مع حكومة فيشى تتويجا للجبهة السيكولوجية . فقد خدع ذلك الأمريكيين أنفسهم ، إذ أقنعهم بأن حكومتهم لا يمكن أن تقوم بعمل يتعارض مع استمرار نظام الحكم هناك ، واعتبروا غزو شمال أفريقيا فى حكم المستحيل .

وكانت هذه الإجراءات جميعها ، جزءا من « المفاجأة بالنسبة لنقطة الهجوم » وجهت « لإخفاء الهدف » عن العدو ، بينما كان الغرض من بعضها حمله على الاعتقاد بأنه ليس من المنتظر شن الهجوم فى ذلك العام . وإذا ظل يراوده الشك فى حدوث هجوم وشيك ، فلن يتاح له أن يعرف حينئذ ماهو هدفه . وقد توقف نجاح الحملة بأكملها على هذه المفاجأة ، وأثبتت النتائج التى تمخضت عنها مدى الإتقان الذى نفذت به تلك الإجراءات .

وكانت حملة شمال أفريقيا فى عام ١٩٤٢ حملة برية مواصلاتها بحرية . وأنجز الجيش واجبه بمعاونة السفن ، دون أن يكون لها أدنى ارتباط بالاستراتيجية البحرية ، الخاصة بمعارك الأساطيل .

وأما حملة الجنرال نيفيل فى عام ١٩١٧ فكانت برية خالصة ، تمت بعد سنتين من الاشتباكات المتواصلة بين القوات الألمانية وقوات الحلفاء فى حرب الخنادق ، التى نبذ فيها قادة كل من الجانبين فكرة « المفاجأة » وراء ظهورهم ، وحاول كل منهم أن يخترق خطوط عدوه .

وفى عام ١٩١٦ خاصة ، استخدم الحلفاء « تكتيكات القوة » فى معركة السوم بشكل يدعو إلى الدهشة . فقد استمر تحضير المدفعية للهجوم ثلاثة أشهر ، وخصص لكل ١٠٠٠ ياردة من الجبهة فى لحظة الهجوم حوالى ١٠٠ مدفع ، واستهلكت كميات من الذخيرة تفوق الوصف ، فحلت القوة محل المفاجأة والمناورة ، إذ لم تيسر خطوط الخنادق المسافة الكافية التى تمكن من إجراء المناورة ، كما لم يستطع القادة أن يبتكروا من الأساليب ما يمكنهم تحقيق المفاجأة فى مثل هذا القتال الثابت .

ولكنهم على الرغم من ذلك ، بذلوا جهداً كبيراً فى هذه الاشتباكات ، لإخفاء مكان الهجوم ، ووقته ، كما حدث فى السوم ، وتم ذلك بنجاح فى بعض العمليات القليلة الصغرى .

وفى ديسمبر عام ١٩١٦ ، قامت القوات الألمانية ، التى هاجمت حصن الفردان فى الصيف الأسبق وفشلت ، بالهجوم عليه مرة أخرى ، فردها الجنرال نيفيل قائد الفردان على أعقابها ، بأتباعه أساليب جديدة فى تكتيكات المشاة .

وبعد أن حقق نيفيل هذا النصر ، عين قائداً لجميع القوات الفرنسية فى الجبهة الغربية . ووضع خططه لهجوم الربيع فى عام ١٩١٧ ، بالاتصال المباشر مع البريطانيين . غير أنه شوّه تلك المشاركة ، بنزاعه المتكرر مع حكومته وحليفتها ، وترامى عن ذلك الشىء الكثير إلى الشعب والصحافة والألمان .

وعندما انتهى من وضع خططه ، لم يعد خافيا أن الفرنسيين سيشنون هجومهم فى جبهة شامبين — آيسن ، بل لقد كان هذا موضع فخر نيفيل نفسه .

وما أهل شهر مارس ، حتى كان الألمان على علم تام بخطط أعدائهم . ثم حصلوا فى ٤ أبريل ، أى قبل الهجوم بستة عشر يوماً ، على نسخة من الأوامر الفرنسية ، التى وزعت مبكرا عن الموعد المناسب ، تحوى جميع التفاصيل الخاصة بخطة الجيش الخامس الذى سيقوم بالمجهود الرئيسى . وعلى الرغم من إحاطة الفرنسيين علما بذلك ، فإنهم لم يغيروا موعد الهجوم ، ولا أسلوب المناورة .

وفى ١٥ فبراير عام ١٩١٧ ، قام الألمان بغارة على ريبون ، واستولوا فيها على تعليمات الهجوم الفرنسى الذى تم فى ديسمبر عام ١٩١٦ ، وفيها شرح واف للأساليب التكتيكية التى انعقد عليها أمل نيفيل فى إحراز النجاح . وقد علمت قيادة الحلفاء مرة ثانية بحصول أعدائهم على هذه التعليمات ، ولكنها لم تحرك ساكنا ، مع إدراكها أن ذلك يتيح لهيئة الأركان الحرب المقتدرة فى القيادة الألمانية شهرين كاملين لدراستها ، وابتكار الأساليب المضادة لها .

وتبرز التفاصيل الأخرى للعملية مدى الغباء الشنيع الذى نفذت به .

وكانت نتيجة ذلك المحتومة ، هى تلك الهزيمة البشعة التى لم يُمنَ بمثلها الفرنسيون فى الحرب بأجمعها ، والتى تعزى كلية إلى الفشل فى تحقيق المفاجأة ، وإلى الإهمال فى إحاطة أساليبهم التكتيكية الجديدة بالسرية الملائمة ، وإلى تهاون نيفيل فى تعديل خطته ، وإعادة تقدير الموقف ، بعد ما علم أن سرية الهجوم قد أفشيت .

وليس فى تاريخ الحرب من الأمثلة ما يوضح قيمة « المفاجأة » مثل ما توضحه دراسة هاتين الحملتين إذ تبين :

أولا : مزية تحقيق المبادأة والمفاجأة .

ثانياً : أن تحقيق المبادأة دون المفاجأة لا يكفل النجاح .

ثالثا : بعض الأساليب التى تتبع لتحقيق المفاجأة ، وذلك بإخفاء القوة ، وخداع العدو بالنسبة لمكان الهجوم ، وتضليله بالنسبة لقوته ، باجتذاب بعضها عن طريق الخيانة .

وتختلف الاجراءات التى تتبع لتحقيق المفاجأة من حملة إلى أخرى . وهى تفوق الحصر ، وإن كان بعضها من الذيوع بحيث يجدر عدم إغفاله .

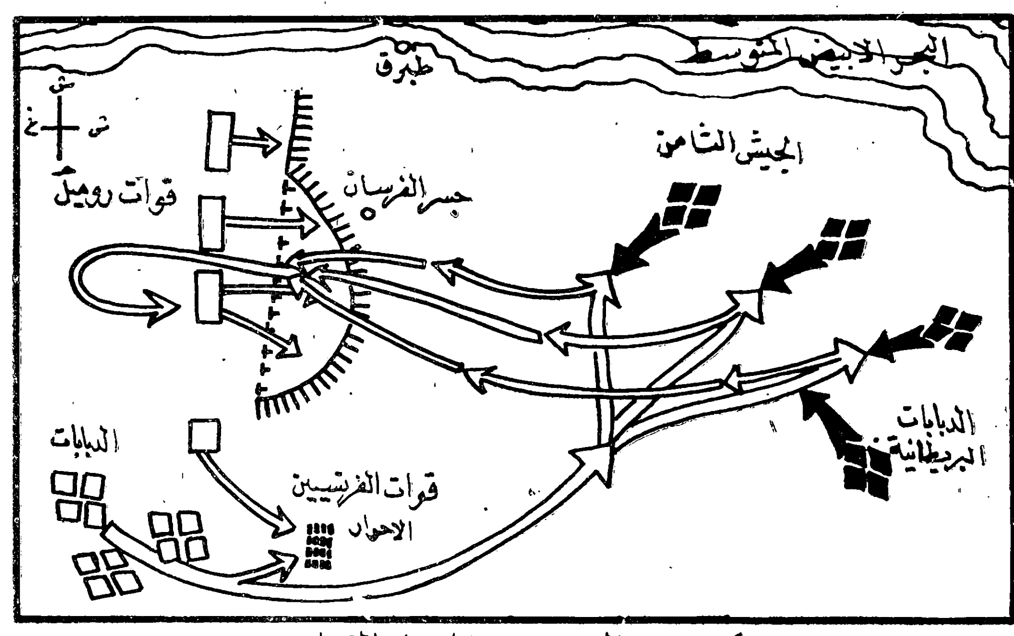
« فالكمين » أكثرها شيوعا ، إذ يحقق المفاجأة التامة « فى القوة » و « فى نقطة الهجوم » و « فى كل شىء » . فالمفاجأة فى أساسها عدم توقع الهجوم كلية .

والكمين مناورة هجومية — دفاعية ، لا تتبع إلا عندما يتحرك العدو نحو خصمه بفكرة إغرائه على أن يصبح فى موقف يمكن فيه محاصرته من ثلاث جهات على الأقل (وعادة من أربع) بقوات خصمه ، قبل أن يدرك أنها أصبحت على مقربة منه . وهذا هو الكمين المثالى ، ولم يتحقق فى التاريخ الحربى المدون بواسطة جيش كبير إلا مرة واحدة فحسب .

ففى جسر الفرسان بليبيا وفى يونيو عام ١٩٤٢ ، هاجم روميل الجيش الثامن البريطانى فى كل من جناحيه الأيسر ، والناحية اليمنى من قلبه . ثم توقف كلا الهجومين بعد ثلاثة عشر يوما من القتال المرير ، ولكنهما تركا بروزا فى خط الجيش الثامن بالقرب من جسر الفرسان كما فى (شكل ١٣) .

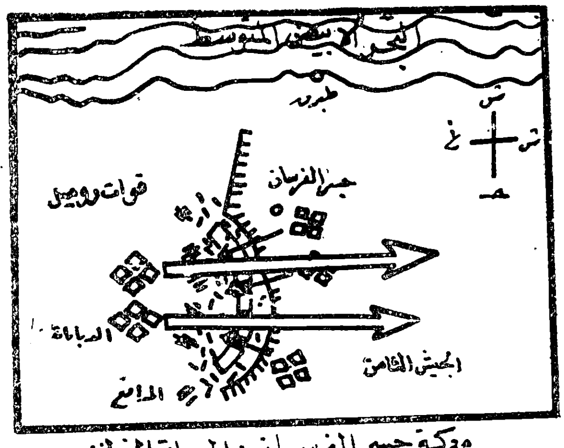
وبعد أن تمكن ريتشى من صد الهجوم الألمانى المدرع ، وأوقفه نهائيا بالهجمات المضادة التى قامت بها القوات المدرعة البريطانية ، أحس بأنه قد استعاد التفوق فى الأفراد وفى العتاد ، فشن هجوما مضادا آخر من خلال

البروز الذى نشأ فى خطوط قواته يهدف به إلى عمل حركة كماشة عليه، ولكى يفتح فتحة كبيرة فى الاتجاه المضاد (شكل ١٤) .



معركة جسر الفرسان : المرحله الاولى
اســــتدراج الوحدات المدرعة
شكل ١٣

وقد كانت هذه مناورة عادية من جانب البريطانيين أعد روميل مصيدة لها . فقد وضع كمينا من المدافع المضادة للدبابات ، أخفيت بعناية ، بحيث لم يستطيع الاستطلاع الجوى استكشافها . وإذا عرفنا أنه لم يسبق حتى ذلك الحين فى الحرب العالمية الثانية ، أن صدت المدافع أى هجوم بالدبابات فى الجبهة الغربية ، لتبين مدى كفاءة هذه الخطة ، ودرجة المفاجأة التى حققتها. ويفسر تصريح تشرشل ، الذى أعلن فيه أنه لم يعد من ٣٠٠ دبابة إلا ٦٥ دبابة فقط ، ذلك الذى حدث عندما واجهت المدرعات البريطانية الكمين الذى أعد لها ، بعد أن اخترقت مواقع المشاه الألمانية .



معركة جسر الفرسان : المرحلة الثانية
الهجوم المضاد
شكل ١٤

وبعد أن حطم روميل مدرعات ريتشى ، أصبح من اليسير عليه بعد ذلك أن يندفع بمدرعاته ، ويقسم الجيش البريطانى إلى قسمين ، حوصر أحدهما فى طبرق ، وارتد الآخر إلى الخلف .

وقد كانت هذه الضربة القاصمة نصراً للألمان ، لم يستطع بعدها أوكنلك إلا بغاية المشقة ، أن يوقف تقدم جيوش المحور فى العلمين .

كما كان هذا الكمين كميناً جزئيا ، لم ينتج عنه إبادة الجيش المعادى ؛ ولم يوجه الهجوم فيه من جميع الأجناب .

ويمكن خداع العدو أيضا بالتطورات الفنية الحديثة ، التى قد تكون فى فى شكل أسلحة جديدة ، أو باتباع أساليب مبتكرة فى القتال . ومثال ذلك الهجوم الألمانى الخاطف ، وهو عملية منسقة تتم بواسطة الدبابات ، والقاذفات المنقضة ، والمشاه الميكانيكية ، والمدفعية .

وعند ما تتمكن الأمة من إنتاج سلاح جديد ، وخاصة إذا كان سلاحا «هجوميا» ، فسوف تتمتع بميزة كبرى على أعدائها ، إلى أن يتمكنوا من ابتكار وسائل الدفاع الملائمة . أما إذا تمكنت الدولة من الاحتفاظ بهذا السلاح سرا

إلى أن تنتج منه المقدار الذى يكفى لشن هجوم كبير ، فسوف تحقق النصر بالمفاجأة التامة .

ولم تتح للأمم إلا فرص قليلة لكى تحقق هذا ، فشل معظمها نتيجة للحذر المفرط من جانب الأمة صاحبة الاختراع ، أو لمزيد اهتمامها به . فقد استخدم الألمان الغازات السامة للمرة الأولى فى جبهة صغيرة ، دون أن يكون لديهم إلا كمية محدودة منها ، فتمكنوا الحلفاء من الإحاطة بأخطارها وتأثيرها ، بحيث وجدوا الدفاع المضاد لها فى الوقت الذى بدأ ينتج فيه الألمان منها كميات كبيرة وقد وقع البريطانيون فى نفس الخطأ ، عندما استخدموا الدبابة لأول مرة ، فى ١٥ سبتمبر عام ١٩١٦ ، بأعداد ضئيلة ، لأنهم عند ما تمكنوا من إنتاج كميات وفيرة منها . كان أعداؤهم قد ابتكروا أسلوب الدفاع المضاد لها .

ومن السهل أن ندرك أنه لو أمكن التكتم على السلاح الجديد فى كلا الحالتين ، إلى أن يتم إنتاج كميات كبيرة منه ، لتمكن الجانب الذى يمتلكه من إحراز النصر الحاسم السريع .

وقد تحقق النصر عن طريق « المفاجأه فى التسليح » مرتين على الأقل فى التاريخ ، عند ما استخدم « القوس بعيد المدى » و « طاقم الدبابة والقاذفة المنقضة » ، وقبل معركة كريسى ، التى خاض غمارها الملك إدوارد الأول ضد الفرنسيين فى عام ١٣٤٦ ، كان يستخدم السهم والقوس لعدة قرون ، ولكن عندما استخدم القوس بعيد المدى فى تلك المعركة ، كان ذلك بمثابة استخدام سلاح جديد قوى فيها . وكذلك كان استخدام الدبابة والقاذفة المنقضة فى الحرب العالمية الثانية . فقد سبق أن استخدم كل منهما فى الحرب العالمية الأولى ، فى أعداد قليلة ، وبطريقة غير صائبة . ثم أمكن بالأساليب التى ابتكرها الألمان الاستفادة بجميع المزايا التى يحققها السلاحان .

وقد أصبح للقوس بعيد المدى من الأهمية ماجعله السلاح الأول الذى يمكنه صد الفارس المدرع ، بينما كان « طاقم الدبابة — القاذفة » هو أول تسليح فعال لمجابهة مدافع الماكينة والمدفعية .

ولقد كان تحقيق المفاجأة فى المبادىء التكتيكيه دائم التطور . فقد ابتكر كل قائد عبقرى من التكتيكات الجديدة ، ومن الأساليب الحديثة فى استخدام الأسلحة، ما أربك به خصمه وفاجأه .

والهجوم الذى تم فى ٢١ مارس عام ١٩١٨ مثال رائع عن تحقيق المفاجأة بالتطورات الفنية الحديثة . فلم يكن الهجوم فى ذاته مفاجأة للبريطانيين ، كما كان الشأن فى جميع العمليات الكبرى التى تمت فى حرب الخنادق بالجبهة الغربية خلال السنوات الثلاث التى سبقته ، ففى ليلة ١٨ / ١٩ مارس عبر الخطوط البريطانية جنديان هاربان من اللورين ، وأبلغا معلومات دقيقة عن الهجوم المنتظر . وقد كان لدى القيادة البريطانية كثير من الدلائل الأخرى التى تنبىء عنه ، ولكنها لم تكن على يقين من مكانه وموعده . وعلى الرغم من دقة تحضيرات الألمان وكفاءتها ، فانه لم يمكن إخفاؤها إخفاءاً تاما .

وتحققت المفاجأة باتباع أساليب جديدة فى الهجوم ، تضمنت إطلاق النيران الشديدة بالمدفعية لفترة قصيرة ، أعقبها الهجوم بالتسلل :

وكانت الفترة القصيرة المخصصة لضرب نيران المدفعية الشديدة ذات تأثير عظيم على المدافعين ، بحيث أذهلتهم ببغتتها كما حطمتهم بقوتها ، ولم تيسر لهم أية فرصة لجمع احتياطيهم قبل بدء الهجوم . كما أن القوات المتقدمة لم تتوقف أثناء الهجوم لكى تستولى على النقط القوية التى دمرتها المدفعية ، ولكنها « تسللت » خلال « النقط الضعيفة » بينها ، ثم استولت عليها من الخلف .

وقد سبق اتباع كلا هذين الإتجاهين الفنيين ، ففى ڤيمى ريدج عام ١٩١٧ قام البريطانيون بضرب نيران المدفعية لفترة قصيرة، كما اتبع نيڤيل تكتيكات التسلل فى هجماته المضادة فى الفردان فى ديسمبر عام ١٩١٦ . غير أن القيادة الألمانية العليا نسقت بين الطريقتين ، فبلغ ذلك شأواً من الكفاءة لم يسبق له مثيل .

وهناك نوع آخر من المفاجأة ، يمكن أن يطلق عليه « المفاجأة بشن هجوم غير متوقع » ، وهى نوع من الكمين الهجومى . وذلك عندما يكون فى مقدرة أحد الجانبين المحاربين أن يتقدم ويهجم على عدوه ، قبل أن يحيط الأخير علما بوجوده .

ولم يحدث هذا النوع من المفاجأة بالنسبة للجيوش الكبيرة إلا نادراً ، فلهذه الجيوش ستارات استطلاع من القوة ، بحيث تحول بين تقدم العدو دون اكتشافه .

ولكنها حدثت وسوف تحدث دائما عند ما يهمل القائد فى مواجهة عدو صعب المراس .

وقد وضح الآن أنه كان يجب حذف كلمة « المبادأة » من هذا الباب . فالمبادأة فى اللغة العسكرية تعنى « المبادرة بالعمل فى الإتجاه الصحيح قبل العدو ، لدفعه على أن يعمل تبعا لتحركات خصمه » .

كما يتضح من الأمثلة التى شرحت فى هذا الباب ، ومن الحملات الكثيرة التى يزخر بها التاريخ العسكرى ، أن المفاجأة تتضمن المبادأة ، وقد تمكن الألمان حتى فى موقف الدفاع (عندما انتصر روميل فى يونيو عام ١٩٤٢) من المحافظة على المبادأة فى أيديهم . فقد انتظروا بإرادتهم أن يقع عدوهم فى الخطأ ، واستخدموا المبادأه فى خلق المواقف التى تشجعه على ارتكابه .

ومن الجلى أيضا ، أن المبادأة بغير المفاجأة لا تكفل النجاح إلا قليلا . ومصداق ذلك هجوم نيڤيل عام ١٩١٧ ، كما تؤيد هذا أيضا كثير من الهزائم المريرة الأخرى فى ميدان المعركة .

والمبادأة جزء لا يتجزأ من المفاجأة ، ومثل المبادأه بلا مفاجأة كمثل رجل أعرج يشترك فى السباق ، فسوف يقع مكبا على وجهه ، إن لم يتخلف عنه قبل بدئه .

الباب الرابع

الحشـــد وخفة الحركة

يقول الجنرال فورست : لكى تتم هزيمة العدو ، فيجب الإسراع بالتحرك نحوه ، فى أكبر قوة ممكنة .

ويعبر جوميني عن الفكرة ذاتها بأسلوب آخر فيقول : قاتل بأكبر حشد من القوات ، فى النقطة الحاسمة .

ففى حملة بولندا عام ١٩٣٩ (شكل ١٠ و ١١) استخدم الألمان ما يقرب من ١,٤٠٠,٠٠٠ جندى ضد ٨٠٠,٠٠٠ جندى من القوات البولندية ، أى أنهم قاتلوا بأكبر حشد ، وحققوا السرعة بالغزو المفاجىء . ومن دراسة أوضاع الجانبين المحاربين يتبين صحة استخدام ذلك التفوق العددى ، وهل تم الحشد فى النقطة الحاسمة .

كانت المجموعة البولندية فى لودز ، تقف فى مواجهة الجيشين الثامن والعاشر الألمانيين ، ومجموعة نورث فى مواجهة الجيش الثالث الألمانى . واعتمد الألمان كى يحرزوا النجاح على المجهود الرئيسى الذى يقوم به الجيشان العاشر والثالث ، بالهجوم على البولنديين .

وكانت القوة العددية لكلا الجانبين فى هذين القطاعين بوجه التقريب كالآتى :

	القوات الألمانية	القوات البولندية
لودز	٤٠٠,٠٠٠ (الجيشان الثامن والعاشر)	١٦٥,٠٠٠
نورث	٢١٠,٠٠٠ (الجيش الثالث)	٨٥,٠٠٠

بينما كانت النسبة العددية بين القوات الألمانية والقوات البولندية فى الحملة بأكملها هى نسبة ١,٤٠٠,٠٠٠ إلى ٨٠٠,٠٠٠ أى ١,٧ : ١

ومن هـــذا يتبين أن ڤون براوشتيتشك ، قائد القوات الألمانية، كان لديه التفوق العـددى فى المجهود الرئيسى الذى يقوم به فى كل من لودز ونورث ، بنسبة أكبر ممـا يبينه المتوسط العام لقوات الجانبين . وبعبارة أخرى فقد استخدم الحشد فى النقط الحاسمة .

وكان مدى التفوق فى الحشـــد فى واقع الأمر أكثر بكثير مما تبينه أعداد الجنود ، فقد كان للألمـان فى كل من اتجاهى المجهود الرئيسى ٦ فرق مدرعة ثقيلة وخفيفة ، بينما لم يكن لدى البولنديين شىء منها ، كما كان تفوقهم عظيما فى المدفعية ، ومدافع الماكينة ، وغيرها من عتاد الحرب الحديث .

وقد أثبتت النتائج التى تمخضت عنها الحملة أن الحشـد تم فعلا فى النقط الحـاسمة .

وليس معنى التفوق فى الحشد، أن تـكون الأمة المحاربة أكثر عدداً من الأمة التى تحاربها ، ولا أن يكون جيشها فى مسرح الحرب أضخم من جيش العدو ، ولا أن تـكون قواتها المقاتلة فى ميدان المعركة أكبر من القوات المعادية . فألمانيا التى كان يقل تعداد شعبها كثيراً عن تعداد بولندا والنرويج وفرنسا وبريطانيا وروسيا مجتمعة ، ظلت تنتصر ثلاث سنوات متتالية فى الحرب العالمية الثانية . وهزم الاسكندر بقواته التى لم تـكن تعـدو خمسين ألف مقاتل ، جيشاً يزيد عن مليون جندى ، وأجبر فردريك الأكبر فى لوثن ، جيشاً تفوق قوته ثلاثة أضعاف قوة جيشه على التقهقر فى فوضى .

وكلمة الحشد فى العرف العسكرى يختلف معناها اختلافا بينا عما تعنيه كلمة « الحجم » . ولـكى يتم الحشـد فيجب أن يكون للقائد التفوق فى القوة المقاتلة فى النقطة الحاسمة من مسرح الحرب . ولا تعنى القوة المقاتلة مجرد

المقدار العددى للجنود ، وإنما هى قوة الجيش الضاربة التى يعبر عنها بكلمة الحشد .

أما خفة الحركة فهى تعنى فى المنطق العسكرى أمرين :

أولا : السرعة الفائقة .

ثانيا : سهولة التحرك فى أى اتجاه ، أى المرونة فى إجراء المناورة .

ويجب أن يكون الجيش قادراً على التحرك من مكان إلى آخر بسرعة وبسهولة . وقد كانت جيوش عباقرة القواد سريعة دائما فى تحركها ، وقادرة على تغيير تشكيلها واتجاهها دون أن يعتريها الاضطراب ، بفضل ما يدركه هؤلاء القادة من الأهمية البالغة التى لهذه العناصر الرئيسية فى الاستراتيجية .

وخفة الحركة مسألة اعتبارية ، ولا يمكن الحكم على جيش بالسرعة أو البطء ، وبالمرونة أو الجمود ، إلا بمقارنته بكفاية الجيش الذى يقاتله . فلا يمكن مقارنة خفة الحركة فى الفرق الرومانية بخفة حركة الفرسان والدبابات . ولم تعتبر السرعة التى اتصفت بها جيوش نابليون معجزة عصره ، إلا لما اتسم به أعداؤه من بطء شديد .

وهناك عنصر آخر فى خفة الحركة على جانب عظيم من الأهمية ، بل لعله يفوق فى أهميته عناصرها الأخرى ، وهو ضرورة التحرك فى الاتجاه والزمان الصحيحين ، حتى يصبح لسرعة التحرك، وللمقدرة على إجراء المناورة، أثرهما فى تحقيق الاستراتيجية الناجحة . ويزخر التاريخ الحربى بكثير من التحركات الطويلة ، التى تمت دون أن تدعو إليها الضرورة ، فأنهكت القوات، بحيث أصبحت بعدها غير قادرة على القتال .

وينطبق القانون الثابت فى علم الطبيعة ، الذى يقرر أن طاقة الجسم المتحرك تعادل كتلته مضروبة فى مربع سرعته ، على التحركات العسكرية .

وقد يكون الهجوم بطيئا أو سريعا ، وأفضلهما هو ما اتصف بالسرعة .

فالإبطاء فى توجيه الضربة ، يتيح الوقت الكافى للعدو لكى يحضر احتياطيه ، أو ينشىء مواقع جديدة ، ويتمكن بذلك من إحباط الهجوم .

ولا ريب أن الأسلوب الحديث فى استخدام الدبابة وقاذفة القنابل ، هو جوهر الكتلة المتزايدة السرعة ، إذ تندفع بقوة وبسرعة ، بحيث لا يتمكن المدافع من مجابهة النتائج المترتبة على ذلك . وكان جنكيزخان يعتمد كلية على سرعة فرسانه فى إحراز انتصاراته ، فلم تكن جيوشه كبيرة العدد ، ولم تزد إلا فى النادر عن ٢٠٠٠٠٠ مقاتل ، كما كانت كتلتها تقل عن كتلة معظم القوات المعادية التى واجهتها . وقد تصدى فى روسيا ، وبولندا ، وهنغاريا ، بفرسانه الخفيفة التى تدرع بالجلود ، ويعاونها رماة السهام ، لفرسان قوية ثقيلة التدريع ، تعاونها مشاة جيدة التسليح . ولكن هجومه السريع المفاجىء ، كان يعوض كثيراً عن النقص فى كتلتها .

وكذلك كانت السرعة الخالصة ، التى حققتها الفرق المدرعة ، فى الجيشين الثالث والعاشر الألمانيين فى بولندا ، هى التى ألحقت الهزيمة بالجيش البولندى ، فلم تتح له أبدا فرصة تجميع قواته للدفاع ، فقد كانت تلاحقه دائما فى كل حين .

ولكن هذه السرعة ، يجب أن يساندها الحشد . فلم تكن فرسان جنكيزخان اعتمادا على مالها من سرعة ، تغفل قوتها العددية . كما كان جنود المشاة يتحركون للأمام فى الحروب القديمة بخطو ثابت لا يفتر ، وتعوضهم كتلة قواتهم عما يفتقرون اليه من سرعة كافية .

ولولا اندفاع المشاة الألمانية ، بسرعة مناسبة متوسطها ١٥ ميل فى اليوم ، طوال الأسابيع الثلاث التى استغرقتها حملة بولندا ، وراء القولات المدرعة الألمانية ، لما استطاعت تلك الأخيرة أن تحقق النتائج الحاسمة التى تمخضت عنها تلك الحملة ، فقد أتمت كتلة المشاة الاشتباكات الأخيرة بالعدو ، بعد أن حققت الدبابات السرعة .

وليس لنوع القوات المستخدمة أدنى تأثير ، بل يجب أن يتوفر الحشد والسرعة دائما فى الهجوم ، بحيث يتم الحشد فى النقطة الحاسمة وبسرعة ، حتى لا يتمكن العدو من القيام بحشد مضاد قبل أن تحيق به الهزيمة .

ومن السهل طلب الحصول على الحشد فى النقطة الحاسمة ، ولكن ليس من السهل دائما تنفيذ ذلك . بيد أن القادة العظام كانوا يحققونه باتباع أساليب خاصة ، أصبحت أشبه بالقواعد المقررة وهى :

أولا : مراعاة خفة الحركة التى تمكن من سرعة تجمع القوات وتحركها إلى النقطة الحاسمة .

ثانيا : استخدام الاحتياطى .

ثالثا : العمل من الخطوط الداخلية ، وهى الموقع المركزى ، الذى يهيء لكل من خفة الحركة والاحتياطى أن يحققا نتائجهما المرجوة .

رابعا : إجراء هجوم ثانوى (مخادع) ، أو التهديد بالهجوم ، للحيلولة بين العدو وبين تحريك قواته إلى النقطة الحاسمة التى يتجمع فيها حشد القوات.

ولم يحدث فى تاريخ الحروب أن تمت حملة أو معركة طبقا للخطة الأصلية الموضوعة تماما ، لأن القائد لن يستطيع أن يكون على يقين جازم بما سوف يفعله العدو ، ولا بما سيعمله قادته المرءوسون أنفسهم ، ومن المتعذر أن يفرض القائد إرادته التامة على قوات العدو جميعها ، فسوف يظهر دائما مقاتل صعب المراس ، يفعل شيئا مباغتا غير متوقع . كما أن القادة المرءوسين نادرا ما ينفذون ما يكلفون به من واجبات طبقا للأوامر التى تصدر اليهم حرفيا ، أو على النمط الذى يبتغيه القائد .

وسحب الوحدة من أرض المعركة ، لدفعها كى تقاتل فى مكان آخر ، أمر غاية فى الصعوبة ، وخاصة فى الحرب الحديثة . ومع أنه أمكن تحقيق مثل ذلك فى القرون الماضية ، عندما كانت الجيوش المحاربة تقاتل فى كتل

متراصة ، إلا أنه يكاد يكون من المتعذر تحقيقه اليوم ، حيث يقاتل الجنود منتشرين ، فرادى أو فى مجموعات صغيرة . ومن المسلم به أن الوحدة التى تشتبك المعركة ، تتقيد بالمنطقة التى قاتلت فيها ، والاتجاه الذى اندفعت اليه إلى أن يتوقف القتال . وإذا أمكن تغييرها بوحدة أخرى جديدة ، أثناء الليل مثلا ، فإن تجميع أقسامها الموزعة ، وإعادة تنظيمها ، وتوجيهها للعمل فى مكان آخر يستغرق وقتاً طويلا . ومع أنه يصعب تعزيز مثل هذه الحقائق الصادقة بالبراهين النظرية ، فإنه يدركها كل من خاض غمار المعركة .

ونظراً لأن القائد لن يكون على يقين أبداً بما سوف يحدث بعد بدء القتال ، علاوة على أن سيطرته على القوات التى يقودها تضعف نوعا بعد اشتباكها فى المعركة ، فلذلك يجب عليـــه أن يحتفظ ببعض القوات الاحتياطية التى لا تشتبك فى بداية القتال، كى يستطيع بها أن يصلح ماسوف يبدو من ضعف عند تنفيذ الخطة الموضوعة .

فليس واجب الاحتياطى الذى يحتفظ به القائد هو سد الثغرات التى يحدثها العدو فقط ، ولـكنه وسيلة رئيسية ، يتمكن بها من انجاح الهجوم الحاسم ، فيزيد من ثقـله إذا اضطرب ، أو يستفيد به فى معالجة التطورات التى قد تعترى الموقف .

ومن الجلى أنه إذا وجد قائدان ،أحدهما داخل دائرة ،والآخر خارجها لاستطاع الذى فى داخلها أن ينتقل من أية نقطة على محيطها إلى نقطة أخرى غيرها ، أسرع مما يستطيعه الذى بخارجها . لأنه يصبح لزاما على ذلك الأخير أن يتحرك حول محيطها . فلو كان عدد القوات التى يقودها القائد الذى بالداخل ٦٠٠٠٠ مقاتل مثلا ، وعدد قوات القائد الذى بالخارج ٨٠٠٠٠ مقاتل ، وتمكن الأول أن يجمع ٥٠٠٠٠ مقاتل فى نقطة ليس بها إلا ٢٠٠٠٠

مقاتل فقط من قوات الأخير ، فإنه يستطيع أن يلحق بها الهزيمة ، قبل أن يتمكن القائد الذى فى الخارج من مؤازرتها .

وللموقع الداخلى مزايا عظيمة ، فالقوات التى فى الداخل يمكنها أن تتحرك بسرعة أقل مما تتحرك به القوات التى فى الخارج لكى تعادلها فى خفة الحركة . وعندما تتعادل سرعة القوتين ، فإن خفة الحركة للقوات التى فى الداخل (أى القدرة على تجميع حشد متفوق فى نقطة حاسمة) تصبح أضعاف خفة الحركة للقوات التى فى الخارج .

وقد تمتعت ألمانيا بمزايا الخطوط الداخلية فى الحربين العالميتين . ففى الحرب العالمية الأولى كان يفصل بريطانيا وفرنسا على قربهما ، عن روسيا حليفاتهما السويد والنرويج وتركيا ، وكذلك المحيط الأطلنطى . بينما كانت قوات ألمانيا وحلفائها تكوّن مجموعة واحدة فى مركز دائرة الحلفاء ، ولذلك استطاعت أن تتفوق بقوات أقل فى جبهة بعد أخرى . فحشدت قواتها عام ١٩١٤ ضد فرنسا ، بينما ثبتت قوات روسيا . وفى عام ١٩١٥ حولت قواتها إلى الجبهة الشرقية ، وألحقت بالجيوش الروسية هزيمة منكرة . وفى أثناء ذلك حركت قوات كبيرة إلى النمسا ، لتعاون حليفتها فى إلحاق الهزيمة بالصرب وإخراجها من الحرب . ثم جمعت قوتها بعد هذا ضد رومانيا ، وهزمتها قبل أن يتمكن حلفاؤها من معاونتها .

ولم تستطع بريطانيا وفرنسا فى جميع هذه الحالات ، أن تعاونا حلفاءهما بالسرعة التى اتسم بها هجوم الألمان وحلفائهم . وفى الوقت الذى استحال فيه من الوجهة العملية ، تحويل القوات بين فرنسا وروسيا ، لم يكن من الممكن أيضا إمداد الغرب ورومانيا ، إلا باجتياز المسافات الطويلة .

وكان عباقرة القواد على مر الأجيال ، يهدفون دائما إلى الحصول على مثل هذا الموقع المركزى ، سواء فى بداية الحرب ، أو أثناء نشوبها ، لما يهيئه من فرص عظيمة لتحقيق الحشد .

غير أن الموقع فى ذاته لايؤدى إلى نتائج حاسمة عند ما يساء استخدامه . فقد حاقت الهزيمة بألمانيا فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، على الرغم من تمتعها بمزية الموقع المركزي . ومع أنه يمكن اتخاذ الإجراءات التى تقلل من مزايا هذا الموقع ، فإن ارتباطه بخفة الحركة الصحـ [illegible] يهيء للأمة أو للقائد ، أفضل فرصة لتطبيق مبدأ الحشد إلى أقصى حد ممكن .

وفى عام ١٩١٨ أغرى المارشال فوش عدوه باستخدام احتياطيه ، على نقيض العرف الذى يقضى بعكس ذلك . وعندما قامت قوات فوش بالمجهود الرئيسى بالهجوم فى النقطة المنتخبة ، لم يكن قد تبقى لدى المُدَافِع من القوات ما يكفى لاحباط هذا الهجوم . وقد تمكن فوش بهذا الإجراء الاستنزافى ، الذى يهدف إلى إضعاف احتياطى العدو ، من التفوق بقواته فى النقطة الحاسمة .

وقد سبق القول بأن الحشد ليس هو مجرد التفوق فى القوة العددية ، فمم يتكون إذن ؟

لا ريب أن الحشد هو التأليف الصحيح بين القوات والعتاد المتيسر . فكانت حشود المشاة على أيام الأغريق والرومان هى القوة الضاربة ، ثم صارت الفرسان الثقيلة على عهد جوستافوس أدولفوس ومالبورج هى سمة الحشد الأساسية ، ثم أصبح للأسلحة النارية فى منتصف القرن التاسع عشر الفضل فى عودة المشاة مرة ثانية كقوة ضاربة ، ثم أضيفت إليها المدفعية والدبابات وقاذفات القنابل فى الحربين العالميتين .

وليس معنى التأليف الصحيح بين القوات والعتاد المتيسر لتحقيق الحشد هو تجميع القوات والعتاد بأكملها فى منطقة واحدة . فالمجهود الجوى الذى يعاون الهجوم مثلا يأتى من ميادين مختلفة ، وعند ما يقوم الطيران بتنفيذ واجبه ، فإنه يهاجم أهدافا تبعد بعدا كبيرا عن نقطة الهجوم الحاسمة . وكذلك الشأن بالنسبة للمدفعية ، وقاذفات القنابل ، التى تستخدم لتحطيم خطوط المواصلات المعادية ، بغية أن تحول دون وصول الإمدادات والمؤن إلى

المنطقة الحاسمة . فمثل هذا العتاد ، وتلك القوات ، تكون جزءا رئيسيا من الحشد ، تماما كالمشاة والدبابات التى تندفع فى تلك المنطقة .

ويجب أن يستخدم القائد كل ما هو متيسر لديه من القوات والعتاد لتحقيق هدفه ، ليس فقط فى نقطة الهجوم ، وإنما على طول المواجهة ، أو فى مسرح العمليات بأجمعه . فالقوات والعتاد التى تستخدم لإجراء هجوم تثبيتى ، أو لتحطيم خطوط المواصلات المعادية ، تعتبر جزءا من هيكل الحشد الفعلى .

وعندما تتعادل قوتان ، فإنه إذا تفوقت إحداهما فى نقطة ما ، فلا بد أن تتفوق الأخرى فى غيرها . فإذا كان لدى كل من الخصمين (ا) و (ب) ٦٠٠٠٠ مقاتل وجمع (ا) ٤٠٠٠٠ مقاتل ليهاجم ٢٠٠٠٠ مقاتل من قوات (ب) ، فسيكون لدى (ب) ٤٠٠٠٠ مقاتل ليهاجم بها ما يتبقى من قوات (ا) وقدرها ٢٠٠٠٠ مقاتل . وفى مثل هذه الحال تكون الفرصة التى تتاح لكل منهما لكى ينتصر على خصمه فرصة متكافئة .

وقد كانت القوات الألمانية التى تحتل المواقع الوسطى فى حملة بولندا ضعيفة نوعا ، ولكنها كانت ترتكز على تحصينات قوية ممتدة على طول نهر الأودر ، وفى نفس الوقت كانت قوات مجموعة بوسن البولندية التى تواجهها أقوى بكثير منها ، بحيث كان فى استطاعتها أن تخترق بمفردها تلك التحصينات . ولذلك اعتمد فون براوشتيشك على السرعة لدرء أى تهديد قد تتعرض له قواته ، ووضع خطته على أساس اكتساح جناحى القوات البولندية بسرعة ، قبل أن تتعرض قواته التى فى المواقع الوسطى لأى خطر

وهذا يوضح أساس استخدام الهجمات التثبيتية . فهى تبنى أولا على التوقيت الصحيح ، إذ يجب أن يدفع القائد حشد قواته إلى مكان الهجوم ، قبل أن يتمكن العدو من اكتشافه ، أو اختراق جبهات الهجوم التثبيتى . ويجب ثانيا أن تكون القوات الموضوعة فى النقط الضعيفة قوات مقتدرة ، بقيادة قادة يعرفون ما يجب أن يفعلوه ، ويدركون مدى ما ستتعرض له

قواتهم من وطأة هجوم العدو ، فيقاومونه دون أن يتخذلوا . وأخيرا فيجب أن يكون تقدير القائد لخطط عدوه التي يحتمل أن ينفذها ، ولمدى إمكانياته في التنفيذ ، تقديرا صحيحا .

ولا ريب أن الهجوم مغامرة ، حتى عند ما تتحقق جميع مطالبه وتنفذ تنفيذا صحيحا . وكان عظماء القادة، لكي يحرزوا النصر في نقطة ما ، يقدمون على المغامرة الناجحة في غيرها : المغامرة التي ترتكز على الرأى الحصيف ، والتي لم يكونوا يلجأون اليها ، إلا عند الضرورة القصوى .

ومن هذا يتبين أن تنفيذ الهجمات التثبيتية تنفيذا صحيحا ، أمر ضروري لنجاح مبدأ الحشد ، تماما كالتجميع الصحيح للقوات ، وكاستخدام الحشد نفسه ، فتحقيق القوة في نقطة ما ، يقتضي الرضى بالضعف في غيرها .

ويخطىء القائد خطأ جسيما ، عندما يحاول أن يحقق القوة في كل مكان ، فإنه بفعله هذا ، يعرض نفسه وقواته إلى النكبات الفادحة ، إلا إذا انتهج عدوه مثل نهجه .

الباب الخامس

توحيد القيادة والبساطة

كان كل من هتلر وستالين فى الحرب العالمية الثانية ، هو القائد الأعلى للقوات العسكرية فى دولته ، فكان يضع كل منهما الخطط ،ويصدر الأوامر دون أن يعترض عليها فرد ، أو هيئة ، أو يؤخر تبليغها ، أو يعيق تنفيذها . ولهذا فقد كانا فى أفضل موقف للقيادة الموحدة عند إعلان الحرب ، وأثناء تنفيذ حملاتها العسكرية .

ويقول تيودور دودج : يتميز القائد العظيم دائما بعقل خارق ، وشخصية قوية فذة ، وتكون له السيطرة المطلقة على الجيوش التى يقودها . وقد كان الاسكندر ، وفردريك الأكبر من هذا الطراز النادر من القادة ، الذين ليس لسلطانهم حدود فى إشعال الحرب ، التى يبغون من ورائها تحقيق النصر .

فتوحيد القيادة هى إذن سيطرة رجل واحد على جميع العناصر التى تشارك فى الحرب ، وكلما تحققت هذه السيطرة على أوسع مدى ، كلما زادت فرصة إحراز النصر العسكرى .

أما إذا لم يتمتع القائد بتلك السيطرة ، فقد يحول حينئذ بينه مثلا وبين إجراء تحرك استراتيجى على جانب كبير من الأهمية ، افتقاره إلى الدبابات ، كما أن فقدان التعاون بين الحلفاء قد يهيء الفرصة لكى يجمع العدو القوات الكافية التى تحول بينهم وبين احراز النصر الحاسم . كذلك قد يتملك الخوف القائد ، نتيجة للضغط السياسى ، فيصبح هيّابا فى الوقت الذى يجب أن يكون فيه جسورا .

وفى التنظيمات المدنية ، يجد مديرها دائماً من الوقت الكافى ، ما يمكنه من

دراسة المشاكل التي تعترضه في هدوء ، دون أن تدعوه الضرورة الملحّة إلى اتخاذ القرارات العاجلة . وعلاوة على ذلك فيكون لمجلس الإدارة في هذا التنظيم ، الحق الأخير في اتخاذ القرارات النهائية المرتبطة بتعديل سياسته ،أو بطريقه العمل به ، أو بميزانيته .. الخ . أما القائد في الميدان ، فليس لديه متسع من الوقت لعقد المؤتمرات الاستشارية ، وكثيرا مايشن العدو هجومه ، قبل أن يتمكن ذلك القائد من الاجتماع بهيئة أركان حربه .

ففي نوفمبر عام ١٩٤٢ ، قام الروس بهجوم مضاد على القوات الألمانية في ستالينجراد ، ولم تمض سوى بضعة أيام حتى أحدقوا بالجيش الألماني الذي كان يهدد المدينة ، وأصبح عرضة للتطويق . وكان الموقف دائم التغير من ساعة إلى أخرى ، بحيث أضحى لزاما على القيادة الألمانية العليا ، أن تتخذ قرارا سريعا بالنسبة لانسحاب الجيش أو بقائه ، فإن تخليص ٣٠٠٠٠٠ جندي من خطر التطويق يستغرق وقتا طويلا ، وكان كلما تأخر القرار الألماني كلما زاد أمل الروس في تحطيم ذلك الجيش .

وليس من المعلوم على وجه التحديد ما حدث في القيادة الألمانية العليا ، وإنما تنبيء التقارير بأن هتلر أصدر أمره بالثبات ، بعد أن أدى النزاع الذي ساد تلك القيادة ، إلى فشلها في اتخاذ القرار الملائم في الوقت المناسب ، وكانت النتيجة المحتومة ، أن طوق الروس الجيش السادس الألماني وحطموه . وهذا هو الشأن دائما عندما يريد مجلس الحرب أن يجد الحل الصحيح لمشكلة استراتيجية ، إذ يطول به البحث بحيث يعفيه العدو غالباً من اتخاذ القرار .

فالوقت إذن هو روح الحرب .

وإن رئيس الدولة الذي يشركها في الحرب ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة الذي يرسلها لكي تقاتل العدو ، وقائد الجيش في الميدان الذي يوجه قواته في المعركة ، ليحملون جميعا أضخم عبء من المسئولية يقع على عاتق أحد من البشر . ولا ريب أن كثيرين غيرهم يضطلعون بالعديد من جسيم الأعباء ،

إلا أنهم لا يحملون استقلال بلادهم بين أيديهم ، ولا يترتب على القرارات التى يتخذونها ، حياة الألوف من الجنود أو هلاكهم .

كما أن ارتكاب خطأ واحد فى زمن الحرب ، قد يؤدى إلى الهزيمة فى المعركة ، وبالتالى إلى فشل الحملة ، وخسارة الحرب جميعها ، وفى هذا ضياع استقلال الأمة واستعبادها . ولذلك فلا يحمل مثل ذلك العبء الجسيم إلا رجل مقتدر ، وقد ناء بحمله بعض الأقوياء !

وفى وقت المحنة ، عندما يتعرض الجيش للضربات الشديدة التى يوجهها إليه العدو ، فإن هذا العبء يتبلور فى الإجابة على السؤال التالى : هل يثبت الجيش ويقاتل ؟ أم ينسحب ويعيد الكرة ؟ ويتوقف على القرار الذى يتخذ فى هذا الشأن مصير الأمة .

وكثيراً ما يرزح القائد العسكرى تحت هذا العبء ، ولا يستطيع أن يضطلع به بنجاح ، إلا إذا منح السلطة التى تمكنه من اتخاذ الخطوات الضرورية لتحقيق النصر . فيجب أن يكون قادراً على إصدار الأوامر التى تعجل باحراز النجاح فى القتال ، وعلى تنفيذها ، وأن يكون أهلا لقيادة الجهاز المحارب الضخم الذى وثق فى قيادته إياه ، وأن يحقق التنسيق بين كل جزء من أجزائه ،دون أن يعوقه عن ذلك نزاع قد ينشب بينه وبين أقرانه ، أو تدخل تفرضه عليه السلطات الأعلى، التى لن تستطيع فهم ما يواجهه من مشاكل . ويجب أيضا أن يمنح نظير كل مسئولية توضع على عاتقه سلطة جديدة . وعندما يكون هو المسئول الأوحد عن تحقيق النصر فى الحرب ، فحينئذ يجب أن يكون هو القائد الأعلى ، الذى توحد القيادة فى يديه .

والحرب فى حقيقة أمرها نوع من المغامرة . ويحيط بكل موقف من مواقفها عوامل مجهولة ، ونادرا ما يعرف القائد مكان عدوه بالضبط ،ومدى قوته ، وخططه التى ينوى تنفيذها .

وتبنى جميع التحركات الاستراتيجية على كثير من المعلومات الظنية ،عن

تصميم العدو ، ومكان قواته ، ومدى تحركها ، وحجمها . ويغامر القائد على هدى ما يفترضه فى هذا الشأن . وما دامت الحرب هى المغامرة الكبرى فى حياة البشر ، فلذلك يجب أن يكون القادة هم أفضل المغامرين .

وأهم من ذلك إنما هو المقدرة على المغامرة فى حرية وبجسارة . ويمتاز القائد العظيم عن غيره ببعد نظره ، وصوابية حكمه . ويستطيع بعقله اللمّاح ، وشخصيته الفذة ، أن يغتنم الفرصة التى قد تمر بغيره دون أن يلمحها ، بله أن يغتنمها . وهذا يتطلب أن تكون له حرية العمل ، وأن يكون فى أعلى مستويات القيادة ، التى تمكنه من تحقيق أهدافه .

ولا تأتى المغامرة فى الحرب خبط عشواء ، وإنما يكون قوامها الحكم الصائب ، واغتنام الفرصة السانحة المواتية ، والإعداد الدقيق . ولن تستطيع أية هيئة أن تغامر بنجاح كما يغامر فرد واحد عبقرى ، بل غالباً ما تحجم المجموعة كلية حتى عن مجرد التفكير فى المغامرة .

ويتكون مجلس الحرب من مجموعة من الأفراد ، على أعلى مستوى فى القوات المسلحة . وليس المقصود به عدد من القادة المرءوسين يجتمعون بقائدهم الأعلى لإبداء المشورة ، ولكنه يتألف من أنداد ، يجتمعون دون أن يكون لشخص واحد سيطرة عليهم . ولم تكن مجالس الحرب موضع التأييد فى الدوائر العسكرية ، سواء كانت توصى بالقتال أو بالعدول عنه ، ولم تتسم قراراتها بالجسارة ، كما أنها لم تكن تشعر بالمسئولية شعور فرد واحد بها . فالقائد الأوحد ، يدرك أنه الذى يحمل المسئولية الكاملة عندما تخفق الحملة العسكرية فى تحقيق أهدافها ، أما مجلس الحرب ، فيراود كل فرد فيه شعور خفى ، بأنه يستطيع أن يطرح المسئولية عن كاهله ، ويلقيها على غيره .

ويتهكم نابليون على مجالس الحرب فيقول ، إن الأمر كان ينتهى بها دائماً إلى اتخاذ أسوأ القرارات ، وأكثرها تهيّباً .

أما القرارات التى يتخذها القائد العبقرى الناجح ، الذى وحّد القيادة فى

يديه ، فهى تتطلب أشد القلوب جسارة ، وأعظم العقول اتزانا ، وأكثر الأعصاب ثباتا .

وليس فى التاريخ الحربى ما يبين أن واحدا من مجالس الحرب ، قرر اتباع استراتيجية تتصف بشىء من المغامرة ، أو أشرف على تنفيذ حملة تقتضى اتخاذ السريعة ، يوما بعد يوم ، وساعة بعد أخرى .

ويتطا ... دراسة النظم التى اتبعت من قبل لتوحيد القيادة ، ومعرفة الصعاب التى نجمت فى كثير من الحروب عند الا... عار إليها .

وتوحيد القيادة هو أبسط أشكال القيادة ، وأعظمها كفاءة . فعندما تنعقد السيطرة لقائد واحد ، يقل الروتين فى الرئاسة إلى أدنى حد ، وتصل جميع المعلومات إلى جهة واحدة ، وتصدر كل الأوامر من نفس الجهة ، ويتلاشى النزاع الذى تسببه المشاركة فى المسئولية ، وتختفى جميع مظاهر الجدل ، والآراء المتضاربة ، والأوامر المتعارضة . وهذه البساطة ، هى التى يجب أن تعم جميع تنظيمات الجيش ، وتسود عملياته .

ويتطلب تنفيذ الأعمال فى التنظيمات الكبيرة ، اتخاذ اجراءات كثيرة معقدة . وينوء الرؤساء بعبء المصاعب التى تعترضهم فى حمل مرءوسيهم على تنفيذ الأوامر بالكيفية التى يريدونها ، وفى الوقت الذى يبغون أن تنفذ فيه . وكثيراً ما تفقد الأوراق ، ويساء فهم الإرشادات ، ويصعب العثور على الشخص المطلوب ... الخ . ويحدث هذا على الرغم من وجود جميع التسهيلات المادية المتيسرة ، وخبرة الضباط المزودين بأحدث العتاد ، وأسرع وسائل الاتصال :

وليس من العسير ، عندما نعرف كيف تحدث الأخطاء فى مثل هذه الظروف المثالية ، وفى ذلك الجو السلمى الهادىء ، وفى ساعات العمل المحددة ، أن نتصور مدى الخطأ الذى يحتمل حدوثه فى الحرب .

وليس للجيش فى ميدان القتال وضع ثابت محدد ، وإنما هو فى تغيير دائم ،

طبقاً لما يمليه الموقف فى مختلف الأوقات . فهو يتحرك باستمرار ، وهذا التحرك يتطلب انتقال منشئاته الإدارية ، ووحدات مواصلاته من أماكنها دون أن تكف عن أداء واجباتها !

وتستمر مسئولية قائد الجيش عن جنوده طوال اليوم ، سواء كانوا يؤدون أعمالهم ، أو فى أوقات راحتهم . فهو إلى جانب إشرافه على أعمالهم، وعلى تنفيذها تنفيذا صحيحاً ، مسئول عن رعايتهم ، والعناية بحالتهم الصحية ، وتلبية مطالبهم من مأكل وملبس وغيرهما من الاحتياجات .

ويحاول العدو بكل ما أوتى من قوة ، أن يقلل من كفاءة القائد وضباطه وجنوده ، بطائراته ومدفعيته ، وبغيرهما من الوسائل ، ولكن يجب عليهم أن يؤدوا أعمالهم دائما ، وبكفاءة تامة .

ولا يستطيع أن يدرك إدراكا فعليا، ما ينشأ فى ميدان القتال من ظروف قاسية ، إلا من قاتل فيه . فهناك حيث الوحل والأمطار والغبار ، والحرارة القاسية ، أو البرودة الشديدة ، وحيث لا تجد الرئاسات ولا القوات الساتر الذى يقيها من كل ذلك ، فانه يجب أن تدرس الخرائط ،وتكتب الأوامر فى ضوء الشموع الخافت . وإذا أضيف إلى هذا ما يساور النفوس من خوف ، وما يكمن فى الميدان من خطر ، فقد يوضح ذلك كيف ترتكب الأخطاء فى القتال !

وينقسم الجيش إلى أقسام عديدة ، ولكنه على الرغم مما يحدث فى كل قسم منها من أخطاء ، يجب أن يعمل فى مجموعه بدقة وبسرعة ليحقق النجاح . ولنضرب مثلا بأحد أقسام الجيش ، وليكن الفرقة (س) التابعة للفيلق الأول من الجيش الثانى .

فإذا فرضنا أن هذه الفرقة تتكون من :

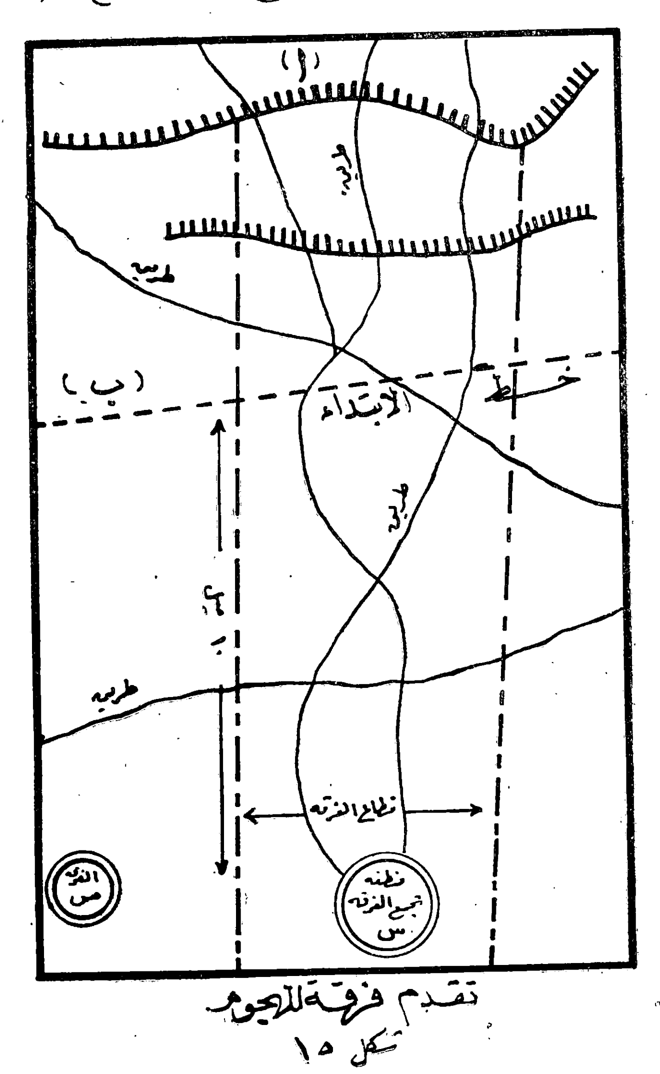
٣ مجموعات قتال : كل تتكون من لواء مشاة ، وبطارية مدفعية ميدان .

١ بطارية مدفعية مضادة للدبابات .

١ بطارية مدفعية مضادة للطائرات .

الوحدات الادارية .

فإذا كانت هذه الفرقة فى منطقة التجمع كما هو موضح فى (شكل ١٥)



تقدم فرقة للهجوم
شكل ١٥

وصدرت الأوامر إلى الجيش الثانى بالهجوم على العدو فى المنطقة (ا) ، فيكون أول واجباته حينئذ، هو أن يتحرك إلى المنطقة (ب) بحيث يصبح فى التشكيل الملائم للقتال عند وصوله إلى خط الابتداء (وهو الخط القريب من موقع

العدو ، الذى يبدأ منه الهجوم ، ويتم فيه التنسيق بين الوحدات المهاجمة ، حيث تتأكد أنها على استعداد تام للقيام بالاقتحام الفعلى) ثم يصدر الأوامر بالتحرك إلى الأمام .

وعندئذ يصدر الفليق الأول أوامره إلى تشكيلاته ، ومنها الفرقة (س) التى يتولى قيادتها القائد (ع) ، فيتلقى تلك الأوامر سعت ١٠٠٠ اليوم مثلا ، وفيها خصص للفرقة القطاع الذى تتحرك فيه ، وحدد موعد بدء الهجوم من خط الابتداء بسعت ٠٤٠٠ من اليوم التالى . أى أن الفرقة سوف تتحرك مسافة ١٠ ميل فى ذلك القطاع الذى ليس به سوى طريقين من سعت ١٨٠٠ مساء اليوم .

وحينئذ يجب على القائد (ع) أن يجمع ضباط وحداته وضباط أركان حربه ، ويصدر إلى كل منهم ما يخصه من الأوامر ، ويقوم ضباط الأركان حرب بربط هذه الأوامر بعضها بالبعض ، ثم كتابتها على الآلة الكاتبة ، وطبعها من نسخ عدة ، وتوزيعها بسرعة ، بحيث تتمكن الوحدات المرءوسة من وضع خططها ، وإصدار أوامرها ، فى الوقت الذى يمكنها من الاستعداد لتنفيذ واجباتها .

كما يجب عليه أيضا أن ينظم التحرك ، حتى لا تختلط وحدة بأخرى ، أو بغيرها من وحدات الفيلق أو الجيش ، التى تعمل فى نفس القطاع .

ثم يضع نظام الإعاشة ، الذى يكفل وصول التعيينات ، وإمداد الوحدات بالذخيرة خاصة أثناء القتال .

وعليه تنظيم الاستطلاع الأمامى ، بحيث تستطيع الوحدات عندما تصل فى الظلام إلى خط الابتداء ، من أن تتحرك مباشرة إلى مواقعها المخصصة لها فى الهجوم .

وكذلك يضع خطة الاتصال فى الفرقة ، ليكون على اتصال دائم بوحداتها ، وبالرئاسة الأعلا ، وبالوحدات المجاورة .

وعليه أن يضع فى حسبانه ، أنه يجب على كل وحدة صغرى أن تصدر

أوامرها الصحيحة ، وأن تتحرك فى الوقت المعين لها بالعتاد المطلوب ، وأن تعثر المشاة على محلاتها الصحيحة فى الظلام ، ثم تقوم منها بالهجوم ، وأن تحتل المدفعية مواقعها ، وتجهز حساباتها للضرب ، وتصب نيرانها على العدو فى الموعد المحدد . . الخ .

ومن المتعذر إحصاء جميع الأعباء التى قد تعترض هذه الفرقة فى سبيل تنفيذ واجبها ، ومن هذا يتبين مدى التعقيد فى تنفيذ واجب الجيش الذى تتعدد أقسامه، ومقدار الأخطاء التى يحتمل حدوثها. وهذا يوجب على القائد المقتدر ألا يضيف إلى هذه المصاعب المعتادة، أخرى جديدة، بانتهاج استراتيجية معقدة.

ولا ريب أنه كلما اتصفت العملية بالبساطة كلما تضاءلت فرص ارتكاب الأخطاء . ولا يمكن اجتناب حدوث الأخطاء أبداً ، وإنما يمكن الحد منها والتقليل من فرصة الوقوع فيها .

وليس من اليسير تحديد الخط الذى يفصل بين الخطة الاستراتيجية البسيطة وبين الخطة المعقدة . ويجب التأكد قبل وصف الخطة الاستراتيجية بالتعقيد من أنه كان فى الإمكان وضع أخرى أبسط منها . ويجب أن ينحو القائد إلى البساطة عندما يضع خطته الاستراتيجية ، وأن يجاهد من أجل تحقيق ذلك وعندما يجد أكثر من خطة واحدة سليمة ، فعليه أن يتبع أبسطها .

ثم يجب أن يفرض القائد سيطرته الشخصية على العمليات ، وألا يسمح بعقد المؤتمرات التى تكون مرتعا للجدل فى مركز رئاسته ، دون أن يحول ذلك بينه وبين مشورة القادة المرءوسين ، وضباط الأركان حرب .

الباب السادس

التعاون والتنسيق والاتصال

فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ ، عبر الجيش الألمانى حدود روسيا ، وفى أوائل أغسطس كان قد دفع بالقوات الروسية ثلثمائة ميل إلى الخلف ، ووصل إلى الشاطىء الغربى لنهر الدنيبر ، وألحق بالروس فى هذه الشهور الأولى من الحرب خسائر فادحة فى كل من بياليستوك ، ومنسك ، وسمولنسك ، غير أنه توقف أخيراً أمام لينجراد وموسكو ، وعند ما فشل فى الاستيلاء عليهما قرر القيام بحركة التفاف حول كييف .

كان المارشال بودنى يقود مجموعة الجيوش الروسية التى تدافع عن الدنيبر ، فى مواجهة فون رونشتد الذى يقود مجموعة الجيوش الألمانية فى الجنوب والتى تمتد مواجهتها إلى مستنقعات بريبت (أو بنسك) . وكان فون بوك يقود مجموعة الجيوش الألمانية الوسطى شمال هذه المستنقعات .

وكانت كييف وسمولنسك هما عماد الخط الدفاعى عن النهر . وعندما استولى الألمان على سمولنسك أصبحت كييف فى قمة بروز (وهو زاوية ناتئة فى خطوط العدو) حيث يمتد النهر جنوبها فى اتجاه الشرق بانحناء كبير (شكل ١٦) وقد أتاح هذا للألمان فرصة عظيمة للقيام بالتطويق المزدوج .

وتكون الذراع الخارجى لحركة التطويق من الجيوش المدرعة والفرق الميكانيكية ، بينما تكون الذراع الداخلى من وحدات المشاة وما يعاونها من مدفعية ودبابات ومدفعية مضادة للدبابات ... الخ وقد تحركت وحدات

الذراع الداخلى بسرعة كبيرة نسبيا حتى تستطيع أن تساير سرعة الوحدات المدرعة التى تقوم بحركة الالتفاف الخارجية .

وكان الطرف الخارجى لفك الكماشة الشمالى هو جيش البانزر الثانى بقيادة جودريان ، والطرف الداخلى هو الجيش الثانى بقيادة فون ويشز , وكلاهما جزء من مجموعة الجيوش التى يقودها فون بوك .

وبعد استيلاء الألمان على سمولنسك ، امتد الخط الألمانى من روسلافل غربا إلى روجاشيف على الدنيبر ، ومنها بدأت عملية الفك الشمالى على بعد مائتى ميل من كييف ، بينما بدأت عملية الفك الجنوبى من نقطة تبعد مائة وخمسين ميلا جنوب شرق تلك المدينة .

واتجه جيش البانزر الثانى من روسلافل نحو ماجلين ، وقام ويشز من موجيليف وبوبرويسك بالهجوم على شاطىء الدنيبر الشرقى فى اتجاه جوميل، وعندما وصل الطرف الخارجى إلى ماجلين تفرع فى اتجاه جوميل ، وبذلك وقعت جميع القوات الروسية الموجودة فى المستطيل الواقع بين روجاشيف وروسلافل وماجلين وجوميل بين الطرف الداخلى ، والطرف الخارجى لفك الكماشة وبين والذراع العرضى الذى يصل بينهما من ماجلين إلى جوميل .

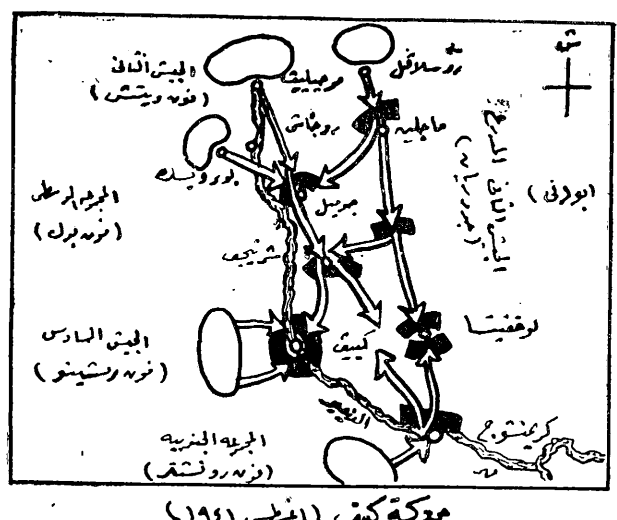
واستمر يتوغل الطرفان فى حركة التفافهما ، بينما وجه جودريان ذراعا عرضيا آخر شمال ديزنا ، وظهر بذلك مستطيلا ثانيا من القوات الروسية ، ثم تفرع كل من الطرفين شرق كييف لامتلاك الأرض .

وعبر فون رونشتد الدنيبر من كرمنشوج ، والتف شمالا بنفس الأسلوب حتى التقى فكا الكماشة فى لوخفيتسا .

وقد تحركت القوات الألمانية بسرعة لم يتمكن معها بودنى من الانسحاب من البروز فى الوقت المناسب ، فخسر الروس أربعة من جيوشهم الخمسة التى كانت فى المنطقة، وبلغ عددها ما بين ٣٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ جندى .

ولا ريب أن نجاح المناورة السابقة ارتكز على روح التعاون التى سادت

بين جودريان وفون ويشز ، اللذين كانا يعملان تحت قيادة فون بوك الذى وحدت القيادة فى يده .



معركة كييف (أغسطس ١٩٤١)
شكل ١٦

وقد وضع فون بوك خطة العملية ، وأصدر الأوامر الخاصة بتنفيذها . بيد أن هذه الأوامر لم تكن أكثر من توجيهات عامة ، أصدر على هداها كل من القائدين المرءوسين أوامرهما التفصيلية . وربما كانت التعليمات التى تلقاها جودريان لا تزيد عن تخصيص الجبهة التى يعمل فيها وهى الخط روسلافل — روجاشيف ، والهدف المكلف بالاستيلاء عليه وهو ماجلين والوقت الذى يبدأ فيه عملياته ، والموعد التقريبى الذى يجب أن يتم فيه الاستيلاء على الهدف . وكذلك تلقى فون ويشز مثل هذه التعليمات ، وترك لكل منهما الحرية فى وضع التفصيلات الخاصة بتنفيذها .

ولاريب أن فون بوك قد اجتمع بهذين القائدين ، وبحث معهما الموضوع بأكمله ساعات طويلة إلى أن وضح لهما المطلوب ، وأسلوب العمل المرغوب أن تتم به العمليات ، ولم يكن مثل ذلك الاجتماع مجلسا للحرب ،

وإنما كان مؤتمرا عقده القائد مع قادته المرءوسين ليحقق التعاون بينهما .

وقد حافظ كل من هذين القائدين على اتصاله الوثيق بالآخر عندما بدأ الهجوم ، ليعرف أين مكانه ، وماذا يعمل ، وبذلك يتمكن من تنفيذ واجبه على الوجه الأكمل . وقد عملا طبقا لتصميم فون بوك سويا بسرعة دون أن يتوقفا فى انتظار تلقى أوامر أخرى جديدة منه .

ويتعذر فى المعركة إصدار الأمر الذى يحوى جميع التفاصيل التى قد تتطلبها مراحلها الأولى . وكلما صغر حجم الوحدة كلما زادت التفاصيل التى تحويها أوامرها . ومع هذا ، فلقائد الجماعة الذى يقود تسعة جنود فقط فى الحرب الحديثة ، مجال واسع من حرية العمل ، فى القطاع الصغير الذى يخصص له ، كى ينفذ تصميم قائد الفصيلة . وينطبق هذا على الوحدات الأكبر وعلى التشكيلات ، كالفرقة والفيلق والجيش . وكلما كبرت الرئاسة ، كلما وجب على القائد أن يضع ثقته فى مرءوسيه ، لينفذوا أوامره بنصها وروحها ، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان المرءوسون يدينون بالولاء لقائدهم .

ومن هذه الثقة ، وذاك الولاء ، تتحقق كفاءة القوة المقاتلة ، وبهما يتم التعاون الذى لا معدى عنه فى تنفيذ الحرب .

وكم من حملة أو معركة باءت بالفشل ، لأنها تجنبت هذا المبدأ !

ولمبدأ التعاون أثر كبير فى العمليات التى تشترك فيها عناصر القوات المسلحة المختلفة ، كالجيش ، والبحرية ، والطيران ، وكذلك فى العمليات المشتركة بين الحلفاء . ففى مثل هذه العمليات ، يكون لتوحيد القيادة أهميتها الخاصة ، غير أن هناك عوامل مادية ، ونفسية ، يجب أن تكون موضع الاعتبار ، كالتنافس بين الأسلحة ، وسوء الفهم الذى لا مناص من حدوثه ، والشحناء بين الأفراد الذين تختلف جنسياتهم ، وتتباين لغاتهم .. الخ . ولا ريب أن مبدأ توحيد القيادة فى يد قائد واحد ، يصدر الأوامر ، لينفذها المختصون بسرعة وبكفاءة ، دون نظر إلى اختلاف الآراء ، أو تضارب

المشاعر أو تباين الأساليب ، مبدأ سليم ، وإن كانت الطبيعة البشرية لا تتفق مع هذا النهج !

ولذلك يجب أن يكون للقائد مطلق السلطة ، ليقرر ما الذى يجب عمله، والأسلوب الذى يتم به التنفيذ . وفى نطاق هذه التوجيهات ، وعلى هدى مبدأ التعاون ، ينفذ القادة المرءوسون ، على اختلاف جنسياتهم أو أسلحتهم أوامر القائد، دون أن يحيدوا عنها ، أو يتملكهم الضغن والشحناء .

ففى ١٤ ابريل عام ١٩١٨ ، عين فوش قائدا أعلى لجيوش الحلفاء . وفى ٢٤ يوليو صد الحلفاء هجمات الألمان الأخيرة ، وبدءوا يستردون المبادأة فى الهجوم . وفى ذلك اليوم عقد فوش مؤتمرا مع هايج (قائد القوات البريطانية) وبيتان (قائد القوات الفرنسية) ، وبرشنج (قائد القوات الأمريكية) فى بومبون لمناقشة خططه المقبلة .

وفى ١١ أغسطس وضع برشنج خطته ، طبقا للقرارات التى اتخذت فى مؤتمر ٢٤ يوليو ، للقيام بالاختراق بالقرب من سيدان ، موضع اتصال القوات الألمانية ، لقطع خطوط مواصلات الجيش الألمانى فى شمال غرب فرنسا . وفى ١٧ أغسطس صدق فوش على الخطة .

وبعد ذلك بقليل أبدى هايج اقتراحا آخر ، لقى قبولا لدى القائد الفرنسى الأعلى . وفى ٣٠ أغسطس توجه فوش إلى برشنج ، وطالبه بإجراء عملية تختلف كلية عن تلك التى سبق أن صدق عليها ، وتقضى بوضع القوات الأمريكية تحت القيادة الفرنسية ، وتعيين قائد فرنسى مستشارا لبرشنج .

وقد نشب بينهما جدل رهيب ، شمل علاوة على القرارات الاستراتيجية، الاعتبارات النفسية ، والمطالب القومية .

ورضى برشنج بقرارات فوش الاستراتيجية الجديدة ، ولكنه رفض

تنفيذ المقترحات الأخرى ، حتى بعد أن هدده فوش برفع الأمر إلى الرئيس الأمريكى .

ولا ريب أن مثل هذه المواقف تنشأ دائما بين الحلفاء ، طالما أنه لا توجد السلطة العليا التى تستطيع أن تسيطر على حكوماتهم ، ولذلك يتطلب توحيد القيادة بين الجيوش المتحالفة أقصى درجات التعاون بين قادتها .

وينشأ مثل هذا أيضا ، فى العمليات التى يشترك فيها الجيش والبحرية والطيران . فعندما يكون القائد الأعلى للحملة من الجيش ، فإنه لن يستطيع تنفيذها بكفاءة دون أن يعاونه قائد البحرية ، وقائد الطيران . وإذا لم يبذل كل منهما قصارى جهده فى تحقيق التعاون الكامل معه ، لفتور ولائه له ، فسوف يؤدى هذا إلى نتائج خطيرة .

فالتعاون التام الذى أساسه ولاء القادة المرءوسين جميعهم لقادتهم ، ولبعضهم البعض ، مبدأ من المبادىء الاستراتيجية الأساسية .

وفقدان التنسيق من بين النتائج التى يؤدى إليها فتور التعاون .

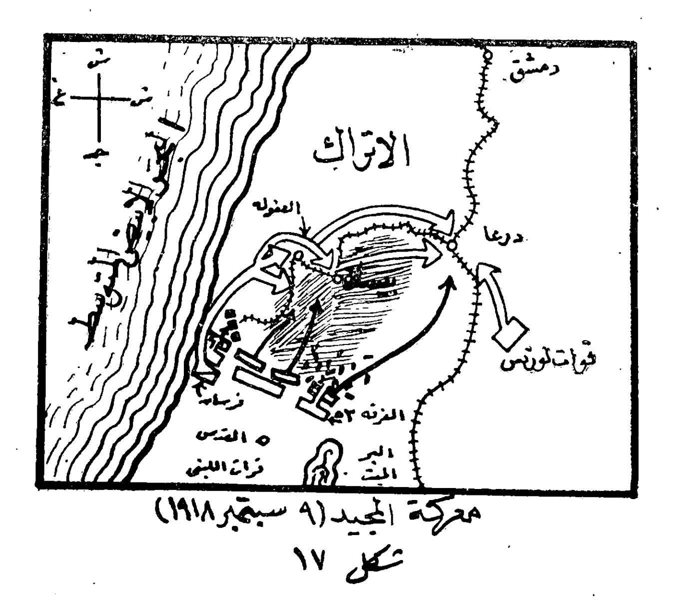
وقد اتبع الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى نظاما للتنسيق فى الجبهة الغربية الثابتة ، كان دقيقا جدا لدرجة الجمود . فكان البرنامج الزمنى الذى يصدر للقوات المهاجمة ، يحدد واجب كل وحدة ، فى كل لحظة من لحظات الهجوم . وقد بدا فى مبدأ الأمر أن هذا التحديد يحقق التنسيق التام ، ولكن سرعان ما تبين أن العدو لا يتقيد بهذه الجداول الزمنية ، وأن أى عمل يقوم به يوقف كثيرا من الوحدات ، فتكشف حينئذ ما فى هذا النظام من جمود ، وعدل عنه إلى آخر يكفل التنسيق بين الوحدات دون أن يغفل ما يحتمل حدوثه من ظروف طارئة متغيرة .

وقد تطلبت عملية كييف التى تمت فى أغسطس عام ١٩٤١ (شكل ١٦) التنسيق التام بين الطرفين الخارجى والداخلى لفك الكماشة الشمالى . فقد كان

تحرك الطرف الخارجي بسرعة يعرض الجناحين للهجوم ، بينما كان الإبطاء في تحرك الطرف الداخلي يعرضه لثقل الموقع الدفاعي بأجمعه . وقد تحقق التنسيق في تحركاتهما بفضل تعاون جودريان وفون ويشز .

وتبرز معركة المجيد في حملة فلسطين التي تمت في الحرب العالمية الأولى كيف يتحقق التنسيق في القتال .

ففي سبتمبر عام ١٩١٨ ، كان جيش اللنبي يواجه الموقع التركي المنيع الواقع شمال يافا والبحر الميت ، وكان جناح الأتراك الأيسر يسبب لهم قلقا بالغا ، فمن خلاله يمر الطريق الذي يؤدي مباشرة إلى قاعدتهم في دمشق . وكان أي نجاح يحرزه البريطانيون أمام هذا الجناح ، يضطر الأتراك إلى الارتداد نحو البحر (شكل ١٧)



معركة المجيد (٩ سبتمبر ١٩١٨)
شكل ١٧

وكانت تمتد خطوط المواصلات خلف الجناح التركي الأيمن ، في أرض وعرة ، تكتنفها الجبال والتلال ، ثم تضيق فيما يشبه عنق الزجاجة عند كل من العفولة وبيسان . ويمتد على طول الشاطىء سهل ساحلي ضيق يلائم عمل الفرسان.

وقد صمم اللنبي على أن يتم الاختراق فى هذا السهل الساحلى ، على عكس ما كان يتوقعه الأتراك . ثم جذب انتباههم بعيدا عن هذا الجناح الحساس بشتى وسائل الخداع ، كما قامت القوات التى يقودها الكولونيل لورنس بمهاجمة سكة حديد درعا ، وفى ليلة ١٨ سبتمبر شنت الفرقة ٥٣ المشاة هجوما مخادعا بالقرب من الأردن .

وأثناء ذلك ، وتحت ستر الظلام ، حشد القائد البريطانى على مقربة من البحر ٥ فرق من المشاة و ٣ فرق من الفرسان بلغت فى مجموعها خمسة أضعاف قوة الأتراك فى هذه المواجهة . وفى سعت ٤٣٠ يوم ١٩ سبتمبر بدأ الهجوم وارتد الأتراك للخلف فى منطقة التلال بعيدا عن البحر ، ثم اندفعت الفرسان من خلال الثغرة التى أحدثها الهجوم لتصل إلى عنق الزجاجة فى كل من العفولة وبيسان ، قبل أن يصل إليها احتياطى الأتراك .

ووصلت الفرسان إلى أهدافها ، بفضل دقة التوقيت ، وأحاطت بما يقرب من نصف قوة العدو . ثم تمكن اللنبي بمساعدة لورنس من الاستيلاء على درعا ، وأفنى بقية الجيش التركى .

وقد كان التنسيق التام الدقيق هو أساس نجاح هذه العملية ، حيث ارتبط هجوم لورنس على درعا ، بهجوم الفرقة ٥٣ المشاة على الأردن ، وبهجوم المشاة فى المنطقة الساحلية ، وباندفاع الفرسان فى السهل الساحلى .

ولا ريب أنه كلما كانت الخطة الاستراتيجية بسيطة ، كلما أصبح من اليسير التنسيق بين أجزائها المختلفة .

كما يجب أن تدرس الأرض ، وحالة الطقس بعناية . فالعملية التى يمكن تحقيق التنسيق فيها بسهولة عند إجرائها فى أرض معينة ، قد يتعذر تحقيقه إذا تغيرت هذه الأرض .

ويقوم قائد الجيش فى الحرب الحديثة ، فى مركز قيادته ، بالتنسيق بين قواته من الخريطة . فمسرح العمليات الذى يقاتل فيه جيشه يكون من الاتساع بحيث لا يستطيع أن يذرعه فى عربة ، أو أن يلقى عليه نظرة فاحصة من بقعة فيه . كما أنه ليس من المجدى أن يقود قواته بشخصه ، لأن هذا يبعده عن المكان الوحيد الذى تصل إليه فيه المعلومات ، حيث يعرف مجريات الأمور من مرءوسيه وضباط أركان حربه ، ثم يصدر أوامره خلال وسائل اتصال بعيدة المدى .

وقد كان السر فى نجاح الألمان عند استخدامهم طاقم الدبابة — قاذفة القنابل وتكتيكاته الجديدة هو فى التنسيق بينهما . ففى الهجوم تدمر قاذفات القنابل المدافع المعادية قبل أن تتمكن هذه من تدمير الدبابات . وبذلك يحققان من النتائج مالم يكن يمكن تحقيقه لو استخدم كل سلاح منهما بمفرده .

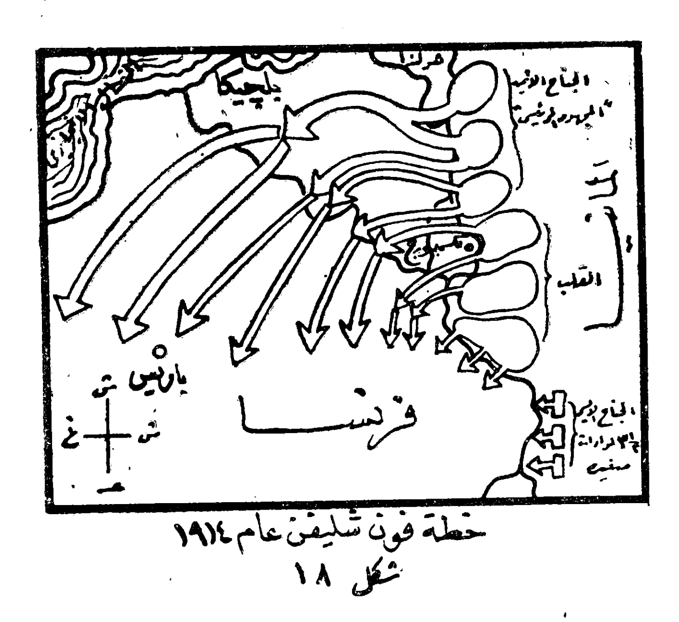
ويجب أن يشمل التنسيق أيضا المبادىء التكتيكية ، والشئون الإدارية وأساليب المناورة الاستراتيجية .

وإذا لم تنسق تحركات القوات المقاتلة فى القتال ، بحيث توجد فى الوقت والمكان المحددين لها ، فلن يكون للاستراتيجية السليمة أى نصيب من النجاح

وقد فشل فون مولتكه فى معركة المارن الأولى عام ١٩١٤ فى تحقيق التنسيق بين جيشيه الخارجيين ، فشن هجومه على فرنسا طبقا لخطة فون شليفن المشهورة ، وحشد الجيش الألمانى فى الذراع الخارجى لحركة الالتفاف الضخمة المتجهة إلى غرب باريس ، فى عملية تطويق واسعة النطاق ، لتدفع الجيش الفرنسى بعيدا عن الحدود المحصنة (شكل ١٨)

غير أن فون مولتكه الصغير ، عدل الخطة قبل العملية وفى أثنائها . وأدى ذلك التعديل الذى تم أثناء إجراء المناورة إلى نتائج خطيرة . فعندما تحرك الجيش الألمانى خلال بلجيكا وشمال فرنسا ، سحب فون مولتكه

الجيش الخارجى بقيادة فون كلوك إلى اتجاه الشرق ، ووجهه فى نهاية الأمر ليتقدم شرق باريس ، بحيث يدور عندما يصل إليها ويواجه المدينة ، وبذلك يقى الجناح الألمانى الغربى .



خطة فون شليفن عام ١٩١٤
شكل ١٨

ولكن التعليمات القاضية بوقاية الجناح الغربى لم تصل إلى فون كلوك إلا بعد أن عبر المارن وبدأ الهجوم بالجيش السادس بقيادة مانورى ، وجيش باريس بقيادة جاليينى .

واضطرته الأوامر التى تلقاها إلى سحب القوات الموجودة جنوب المارن ، ودفعها إلى موقع بالقرب من نهر الأورك لتواجه باريس ، وبذلك نشأت ثغرة فى الخط الألمانى ، نتيجة لانسحاب فون كلوك ، ما بين ميسرته وميمنة قوات فون بيلو ، شن منها جوفر هجومه المضاد الناجح الذى حقق به النصر فى هذه المعركة .

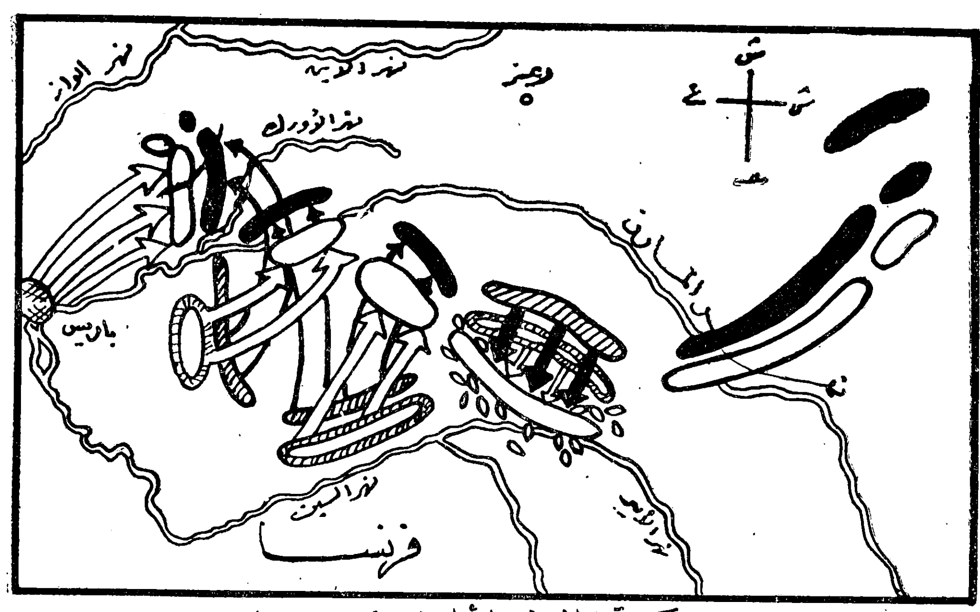
وعلى الرغم من أن فون مولتكه نبذ خطة فون شليفن فى أثناء الحملة ، واتخذ قراراً استراتيجيا يختلف كلية عنها ، فإن موقفه كان لا يزال قويا

وسليا ، إلى أن نشأت الثغرة فى ميمنته ، نتيجة لانعدام التنسيق بين جيشيها ، فأتاح ذلك الفرصة للفرنسيين للقيام بحركة مضادة حاسمة .

ويجب أن يتم التنسيق بين الخطط والمعلومات . فالخطط المنسقة التى تبنى على معلومات خاطئة ، تصبح لا غناء فيها ، تماما كالخطط التى تفتقر إلى التنسيق .

كما أن القائد الذى لا يحقق التنسيق بين مختلف أجزاء خطته ، سوف يبوء بالهزيمة .

وقد عزا كثير من الكتاب العسكريين ، ما لحق بالألمان من هزيمة فى معركة المارن الأولى (شكل ١٩) ، إلى ضعف الاتصال بين الجيوش



معركة المارن الأولى (سبتمبر ١٩١٤)

شكل ١٩

المقاتلة وبين القياده الألمانية العليا . فمنذ ٣٠ أغسطس كان مركز رئاسة فون مولتكه فى لوكسمبورج ، واعتمد فى الاتصال بجيوشه على اللاسلكى ،

وعلى زيارات ضباط الأركان حرب . ولم يكن اللاسلكى فى عام ١٩١٤ على ما هو عليه اليوم من الكفاءة ، وكان مما يزيد فى بطء إرسال الرسائل أو استقبالها ، ضرورة استخدام الشفرة محافظة على سريتها . أما زيارات ضباط الأركان حرب ، فكانت تستغرق الساعات والأيام فى التنقل بين مراكز الرئاسات المختلفة ، ولم تكن تمكن بأية حال من الاتصال السريع عندما تتأزم الأمور .

وفى الفترة ما بين ٧و٩ سبتمبر ، وهى أحرج فترة مرت بها المعركة ، لم يصل من قادة الجيوش إلى القيادة الألمانية العامة تقرير واحد ذو قيمة . وكان فون مولتكه حتى ١٢ سبتمبر فى جهل تام بما فعله فون كلوك ، وبما أصابه !

ومع ذلك فقد كان التعاون الجزئى بين القادة المرءوسين ، هو السمة البارزة فى هذه المعركة ، حيث افتقد توحيد القيادة ، وما يتبعه من توجيه الاشتباك بواسطة القائد نفسه ، نتيجة لافتقاره إلى الوسائل الفعالة ، التى تمكنه من إصدار الأوامر ، وتلقى المعلومات . وأدى هذا إلى فشل كل من فون كلوك ، وفون بيلو فى التنسيق بين تحركات قواتهما .

وكان الحل الأخير الذى اتخذته القيادة العامة ، بإرسال مبعوثها الكولونيل هنتش بتعليمات عامة غير محددة ، إلى مراكز الرئاسات التابعة لفون مولتكه ، تنازلا من ذلك القائد عن سلطان قيادته .

وقد فشل تحقيق مبادئ توحيد القيادة ، والحشد ، والبساطة ، والتنسيق جميعا ، لأن رئاسة هيئة الأركان حرب الألمانية ، لم تلق بالا إلى مبدأ الاتصال ، عندما وضعت خطة الحملة .

ويجب أن تكون وسائل الاتصال ، التى تربط بين القيادة وبين القوات التى تقودها ، من الكفاءة ، بحيث تمكنها من إرسال الأوامر المطولة ،

والأوامر العاجلة الموجزة ، والمعلومات ، واستقبال العديد من الرسائل .. الخ ،
لذا يجب أن يكون لها وسائل اتصال تبادلية ، يمكن استخدامها عندما تفشل
الأولى . وعلاوة على ما للسرية من أهمية مطلقة ، حتى لا يتمكن العدو من
معرفة ما يصدر من أوامر وما يبلغ من معلومات ، فإن السرعة والدقة هما
روح الاتصال .

وفى ١٥ يوليو عام ١٩١٨ شن لودندورف هجومه الأخير فى الجبهة
الغربية ، وكان يعتمد فى نجاحه على توجيه الضربة إلى كلا جانبي بروز ريمز .
وقد علم الحلفاء أن مثل هذا الهجوم وشيك الحدوث ، بل لقد عرفوا تاريخ
القيام به على وجه التقريب ، غير أنهم رغبة منهم فى الحصول على مزيد من
المعلومات ، قاموا فى مساء يوم ١٤ يوليو بغارة شرق ريمز ، أسروا فيها
أحد الجنود الألمان سعت ٢٣٠٠ ، وعلموا منه أن إطلاق نيران المدفعية
التى تسبق الهجوم سيبدأ سعت ١١٠ . من تلك الليلة .

وكان لهذه المعلومات التى أمكن الحصول عليها قبل موعد بدء الهجوم
بقليل ، قيمة عظمى . ونظرا لكفاءة نظام الاتصال القائم حينئذ فى الجبهة
الغربية ، فقد أمكن إصدار الأوامر بسرعة إلى جميع وحدات المدفعية ، لكى
تصب نيرانها على الخطوط الألمانية قبل الموعد المحدد لإطلاق نيران المدفعية
الألمانية بعشر دقائق ، وبهذا كتب لهجوم لودندورف على هذه الجبهة
الحيوية ، أن يفشل قبل بدئه .

وبعد أن تلقى الألمان ذلك الدرس القاسى الذى تمخضت عنه وسائل
اتصالهم الفاشلة فى معركة المارن فى الحرب العالمية الأولى ، آلوا على
أنفسهم ألا يتكرر حدوث ذلك مرة أخرى . وعندما قاموا بالتحضير للحرب
العالمية الثانية ، كان مبدأ الاتصال من مبادئهم الأساسية فى الاستراتيجية ،
كما وضعوا من الخطط ما يكفل حرمان العدو من الإفادة بوسائل الاتصال
المتيسرة لديه .

ففى حملة بولندا عام ١٩٣٩ (شكل ١٠) كان يهدف سلاح الطيران الألمانى فى هجماته الأولى ، إلى تدمير مطارات البولنديين ، وعقد مواصلاتهم، وتحطيم مراكز رئاسات قواتهم . وقد علموا بكل دقة من الطابور الخامس ، مواقع هذه الاهداف جميعا ، واستمرت تصلهم أثناء الحملة ، المعلومات عن تحركات رئاسة هيئة الاركان حرب البولندية .

وترتب على ذلك أن ضعف اتصال القيادة البولندية بقواتها طوال الحملة وقاتلت كل مجموعة من مجموعاتها بمفردها ، دون أن تتلقى أية معلومات عما يحدث لغيرها . ولم تتمكن القيادة البولندية العليا من أن تصدر الأوامر الدقيقة الخاصة بالانسحاب المدبر إلى نهر الفستولا .

وقد كان تأثير الهجوم على وسائل اتصال البولنديين ، يفوق أى عنصر آخر من عناصر الهجوم الالمانى ، وكان له أثره الحاسم فى التعجيل بهزيمتهم، فقد أدى عجزهم عن إبلاغ الاوامر التى يصدرها القادة ، إلى فقدان التنسيق بين القوات ، وبذلك لم تتم التحركات الصحيحة ، ولا الحشد المضبوط إلى المناطق الدفاعية . وكذلك نتج عن تعذر وصول المعلومات إليهم أن أصبحوا عرضة لان يفاجئهم الالمان دائما ، وتسبب عن الفشل فى الاتصال استحالة اتباع المبادىء الاستراتيجية الاخرى

وليس التعاون ، والتنسيق ، والاتصال ، فى حقيقة الأمر إلا «خدم» المبادىء الاستراتيجية الست الأخرى . كما أنها الحبل المتين الذى يربطها جميعا فى حزمة لاتكسر . وهى لا تعنى بمفردها شيئا ، ولكن بدونها لايكون للمبادىء الأخرى أثر يذكر .

وإذا سأل سائل عما يدعو إلى عد الاتصال من المبادىء الاستراتيجية ، وإغفال اعتبار الإعاشة مثلا من بين هذه المبادىء ، فسبب ذلك أن الجيش لا تلحق به الهزيمة ، ولا ينحطم فى اللحظة التى تنقطع فيها خطوط تموينه ،

بل قد تمضى عدة شهور قبل أن يكون لذلك نتائجه الحاسمة . وكم من قوات شقت طريقها بعد أن طوقت، أو أنقذها من الحصار المضروب عليها غيرها من القوات . أما التهاون فى تحقيق الاتصال ، فيؤدى إلى هلاك القوات ، وإذا افتقرت كلية إلى وسائل المواصلات ، أو ضعفت كفاءتها ، فسوف تحل بها الهزيمة العاجلة كما حلت بالقوات الألمانية فى معركة المارن .

فإذا كان التموين من الجسم بمثابة عضلاته وبطنه ، فان الاتصال والمواصلات هى فكره وعقله وعصبه . وقد يقاتل الجندى أمداً طويلا بمعدة خاوية ، ولكنه يتوقف مباشرة عن القتال عند ما تنهار أعصابه .

ولهذا فاق الاتصال فى أهميته غيره من عناصر الحرب الفنية والإدارية وأصبح جديرا بأن يعتبر مبدأ استراتيجيا ، لا مبدأ فنيا .

ومبادىء التعاون والتنسيق والاتصال ثلاثة مبادىء من المبادىء الاستراتيجية التسعة التى يجب أن يتبعها القائد بكل دقة ، ولا يستطيع أن يغفل أحدها دون أن يركب عندئذ متن المخاطرة ، أو تحل به النكبات .

ويشهد التاريخ بأنه لم يسترشد بها قائد حصيف إلا وكتب له النصر المطلق . ولا ريب أن بعض القادة قد انتصر على الرغم من فشلهم فى اتباع بعض هذه المبادىء ، بيد أنه لم يفشل أبداً القائد الذى اهتدى بها . فمبادىء الاستراتيجية هى الطريق الذى يؤدى دائما إلى النصر المحقق ، ومن سار على الدرب وصل .

كما أن مبادىء الاستراتيجية سهلة الفهم ، وإنما تنشأ الصعوبة فى تطبيقها . ولكن القائد العظيم يضفى عليها من عبقريته فى دراسة الأرض ، ووضع التوقيتات الدقيقة للعمليات ، وفهم الطبيعة البشرية بحيث يكلل الحملة أو المعركة التى يخوضها بالنصر .

ولا يُكتسب بالتعليم مثل تلك الحاسة الاستراتيجية الممتازة التى وهبها

نابليون ، والتى كانت تمكنه من أن يقرر بكل دقة الموعد الذى يوجه فيه ضربته . ويستطيع القائد العادى أن يدرس الأرض ، وأن يلم بسماتها الاستراتيجية إلماما جيداً ، ولكن لن تكون له تلك النظرة السريعة الشاملة التى كان يستطيع بها فردريك الأكبر أن يدرك خاصيات الأرض وإمكانياتها جميعا .

والحرب فى آخر الأمر ، يقاتلها الضباط والجنود . وليست المعدات فى ذاتها سوى معدن أصم ، لن يكون له قيمة عند ما يستخدمها جنود هيابون يملؤهم الهلع والفزع . ولذلك يجب أن يتميز القائد بتلك الموهبة التى تيسر له فهم جنوده وإدارتهم ، حتى يجعلوا من أسلحتهم ومعداتهم دماراً ووبالا على عدوهم ،عند تنفيذ خطط القائد الاستراتيجية .

الباب السابع

الطبيعـــــــة البشرية

عند ما يبتكر سلاح جديد ، فإن القائد يستطيع أن يقرر خواصه ، ويقدر قيمته الفعلية فى القتال ، ويدرك الظروف التى تلائم استخدامه .

أما طبيعة الجنود الذين يعهد إليهم باستخدام ذلك السلاح فهى لا تستقر فى الحرب على حال . وهذا لا يمكن القائد من إدراك المؤثرات التى قد تؤثر على الطبيعة البشرية سلفا . فكثير من الأحداث التافهة العارضة ، التى لا يمكن التنبؤ بها من قبل، قد ترد الجيش النظامى إلى حالة من الفوضى، يفقد معها كل نظام ، أو تلم شراذم الجنود الذين شتتهم القتال فى قوة متماسكة . وقد كان كثير من هذه الأحداث، التى أغفلتها التقارير الرسمية ،والسجلات التاريخية، إلا نادراً ، هى السبب المباشر فى كثير من الهزائم والانتصارات ، كما كانت منبعا للأساطير التى نسجها الخيال فى ميدان المعركة .

فالجنود الذين أرهقهم التعب ، والذين يدركون ما يحدق بهم من خطر ، ويكونون على غير علم بحقيقة ما يحدث حولهم ، سرعان ما يصيبهم الذعر ، فيجفلون من الضوضاء التى لا يعرفون مصدرها ، ويولون الأدبار عند ما يلمحون ما لم يألفوه !

ولن يكون للجنود قيمة فعالة فى الحرب ، قبل أن يدربوا ، وتغرس فيهم أصول الضبط والربط ، لا ليقاتلوا فحسب ، وإنما لكى يستمروا فى القتال ، مهما ساءت الظروف المحيطة بهم .

وأول مطلب فى الحرب ، ألا يفر الجيش عندما يواجه العدو . وقد

يبدو ذلك من الأمور البديهية ، ولكن يدعو إلى ذكره، أنه كثيراً ما يرسل الجيش لكى يقاتل دون أن يكون قد تلقى قسطه الوافر من التدريب ، بحيث يصبح فراره حتما مؤكداً .

والمعارك التى انتصر فيها الجنود الذين أحسن تدريبهم ، وغرست فيهم مبادىء الضبط والربط الجيد ، تكاد لا تحصى ، حتى عندما أعوزهم كثير من الأسلحة المؤثرة ، ولا يعنى هذا أن الجندى الذى يفتقر إلى السلاح يمكنه أن يتغلب على الجندى المسلح ، وإنما يعنى أن الجنود المدربين ، الذين قد تعوزهم الأسلحة الجيدة ، يفضلون غيرهم من الجنود الذين لم ينالوا قسطهم الوافر من التدريب ، حتى ولو كانت معهم أفضل الأسلحة . ولا ريب أن الفئة القليلة من الجنود المدربين ، سوف تنتصر على أخرى كبيرة ، من الجنود الذين لم ينالوا التدريب الجيد ، لو تعادلت أسلحة الفئتين .

فالجندى المدرب ، الذى وطّن نفسه على الصمود فى وجه المصاعب ، والذى غرست فيه خصال الضبط والربط ، بحيث يفعل ما يؤمر به ، يمكنه أن يتغلب على الغموض والارتباك اللذين يكتنفان المعركة .

ويزخر التاريخ بما حققته الجيوش الصغيرة المدربة من الانتصارات على الجيوش الكبيرة سيئة التدريب .

فالتدريب الكفء ، والعتاد الجيد هما عماد الجيش القوى . وتسليح الجندى المدرب بأفضل العتاد يزيد من كفاءة ذلك العتاد ، ويرفع فى نفس الوقت من روح الجندى الذى يدرك خواص سلاحه .

ولكن لن يصبح الجيش قويا ، حتى بعد تدريبه وتزويده بأفضل العتاد إلا بعد أن يتمرس بخبرة القتال . ولن تكون الوحدة فى عداد القوات المقاتلة ، مهما ارتفع مستوى تدريبها ، إلا بعد أن يقاتل جنودها بالنيران .

وينتاب الخوف الجندى فى الحرب ، ولا يخشى عدوه قدر ما يخشى نفسه ، فيفزعه أن يتصور أنه لن يتمكن من أداء واجبه ، ويزيد من رهبته ما يزدحم فى مخيلته عند احتدام القتال ، ويدفعه هذا إلى الفرار قبل أن يكتشف بنفسه أنه يستطيع الثبات ، كما ثبت غيره من قبل . ولن يشعر بثقته فى نفسه وفى سلاحه ، إلا بعد أن يقاتل ، ولو مرة واحدة ، ولن يصبح مقاتلا صعب المراس ، إلا بعد أن يشتد عزمه ، ويقوى بأسه ، فى لجة من دماء القتلى ، وبين أنين الجرحى ، فى أتون المعركة .

وقد يبدو هذا رهيبا ، ولكن هكذا الحرب ، فلسان حالها يقول دائما للجندى « أقتل أو تُقتَل » . ولن يغير من حقيقتها تفكير عاطفى ، أو مشاعر مرهفة ! ولن يركن القائد إلى الاعتماد على جنوده ، مهما كان نصيبهم الذى أوتوه من التدريب فى زمن السلم ، إلا بعد أن تصلب قناتهم فى ميدان القتال .

ويتوقف تطبيق استراتيجية القائد ، على حال جنوده ، ولن يكتب لها النجاح ، إذا قام بتنفيذها جيش يفتقر إلى التدريب ، وإلى الخبرة بالقتال .

ويصبح لزاما على القائد أن يبنى منطقه الاستراتيجى ، على التقدير السليم لإمكانيات الجيش الذى يقوده ، ومهارة الجيش المعادى . فإذا وضع خطته بحيث لا يتمكن جيشه من تنفيذها ، فلن يكون قد أضاع الوقت سدى فحسب ، وإنما يعرض بذلك الجيش للنكبات . ويؤدى الميل إلى التهوين من مقدرة العدو إلى نفس النتيجة ، أما التغالى فى تقدير كفاءته ، فهو الخطوة الأولى فى طريق التهيب ، الذى عده نابليون من الأسباب الخطيرة التى ينتج عنها الفشل فى الحرب .

ولا تقتصر مشكلة الطبيعة البشرية على حال الجنود فحسب ، وإنما تتعداها إلى شخصيات القادة ، وإلى الشخصية المعنوية للقيادة العليا .

فاذا أمكن معرفة الأفكار الاستراتيجية التى تسيطر على عقلية العدو ، فلن يكون من الضرورى حينئذ البحث عن خططه الحربية ، لأنه يمكن من هذه الأفكار استنباط تلك الخطط . وقد تفوقت ألمانيا على فرنسا مرتين فى هذا المضمار .

ففى عام ١٩١٢ نبذت هيئة الأركان حرب الفرنسية أفكار الدفاع التقليدى الذى تلتزمه حيال ألمانيا ، واعتنقت فكرة الهجوم. فوضعت الخطة الفرنسية رقم ١٧ على أساس أن تقوم فرنسا بالهجوم الشامل على ألمانيا ، عند نشوب الحرب بينهما . وإذا افترضنا أن ڤون شليفن وخلفه لم يكونوا على علم بتفاصيل هذه الخطة ، فلا ريب أنهم كانوا ملمين بما طرأ على وجهة النظر الفرنسية من تغيير . وبما أن المنطق السليم يدعو إلى شن الهجوم الفرنسى من طرف الحدود الجنوبى (شكل ١٨) فقد كانت هذه الاستراتيجية الفرنسية الجديدة فى صالح خطة فون شليفن . فإن قيام الفرنسيين بالمجهود الرئيسى من جنوب سويسرا مباشرة ، يترك الباب مفتوحا على مصراعيه لجناح فون بوك الأيمن القوى . ولو بقى واضع الخطة الألمانية على قيد الحياة عند تنفيذها لكان أفاد كثيرا من الخطة الفرنسية رقم ١٧ عما فعله فون مولتكه بتفكيره القاصر .

وبانقضاء عام ١٩١٨ ، عاد الفرنسيون فتحمسوا ثانية إلى انتهاج استراتيجية الدفاع ، وأنفقوا ملايين الفرنكات إبان الأزمة المالية التى اجتاحت فرنسا ، فى إنشاء تحصينات خط ماجينو فى مواجهة ألمانيا ، وبدا لهم بعد إتمام تشييده أنه لا يقهر ، فزاد ذلك من رسوخ الأفكار الدفاعية المسيطرة على عقلية هيئة الأركان حرب الفرنسية .

وللمرة الثانية، أفادت ألمانيا عند وضع خططها من وجهة نظر أعدائها. ففى مستهل الحملة البولندية فى سبتمبر عام ١٩٣٩ لم يترك الألمان على الحدود الفرنسية سوى أربع فرق فقط . بينما وضع الحلفاء فى مواجهتها ٣٥ فرقة

زادت إلى أكثر من ١٠٠ فرقة قبل انتهاء الحملة . وقد وضع الألمان خططهم العامة لغزو أوربا فى الحرب العالمية الثانية على هدى ما يعرفونه من أفكار الخلفاء الاستراتيجية ، ولم تعد بهم حاجة لتفاصيل خططهم الحربية .

وليست الحرب سوى مغامرة يستطيع القائد أن يقلل دائما من جسامة الخطر الفعلى فيها إذا عرف سجايا عدوه، وهل يتصف بالشجاعة أم بالخوف، بالحذر أم بالطيش ، باليقظة أم بالغفلة ، بالذكاء أم بالغباء .

ولكل أمة أسلوبها الخاص الذى تتميز به قواتها فى القتال ، كما أن لكل منها من المزايا والعيوب ما تشتهر به فى ميدان المعركة .

والقوات التى تسودها روح المرح يصعب هزيمتها ، مهما كانت مشقة الظروف التى تجابهها ، فالمقدرة على رؤية الجانب المبهج فى الحياة العسكرية ، يزيد من طاقة الجندى فى مقاومة التوتر الذى يتعرض له ، ومن مقدرته على احتمال الصدمات والنكبات .

ويجب أن يلم القائد جيداً بخاصيات عدوه التى يتميز بها فى القتال . فإن كان جنوده ممن يصرون على القتال إلى نهايته ، فيجب أن تكون استراتيجيته غاية فى الكفاءة . أما إذا كانوا يسارعون بالفرار ، فقد يبنى خططه ليوجه لعدوه ضربة قاصمة يتم بعدها تسليمه المطلق .

وتؤثر شخصية القائد المعادى فى أفكار خصمه الاستراتيجية ، كما يؤثر فيها أيضا وبدرجة أكبر مزاج مرءوسيه وجنوده .

فتاريخ الحرب والاستراتيجية هو بطبيعته تاريخ القادة . وليست قصص الحملات والمعارك فى واقع الأمر سوى القصص التى تروى أساليب نجاحهم أو فشلهم . وتتأثر خطط العمليات عند وضعها وتنفيذها لدرجة كبيرة بشخصية من يتولى زمام القيادة .

ولذلك يجب على القائد قبل أن يضع خطته ، أن يقدر نفسه حق قدرها ويعرف مدى جهده فى الاضطلاع بها ، ومقدرة مرءوسيه على فهم الأوامر التى تصدر إليهم ، وعلى تنفيذها .

كما عليه أن يحذر من مطالبة مرءوسيه بأكثر مما فى وسعهم ، وأن يتجنب القيام بالمناورات المعقدة بالقوات غير المقتدرة ، بل عليه أن ينهج الاستراتيجية البعيدة عن التعقيد ، عندما تكون كفاءة ضباطه محدودة ، أو مستوى تدريب قواته منخفضا .

وعلى القيادة العليا ألا تطالب القائد بتحقيق الاستراتيجية التى تكون فوق طاقته ، بل تعهد إليه بتنفيذ الحملات التى يطيقها ، وعليه هو أن يقدر مقدرته حق قدرها ، وأن يدرك عيوبه ، فيضع الخطة الاستراتيجية التى تلائم ذلك ، دون أن يكون فى تنفيذها عبء ثقيل على كاهل مرءوسيه .

ويدرك عباقرة القادة ما للنجاح من أثر فعال ، وأن أهميته تعدل فى الاستراتيجية أى مبدأ من مبادئها ، ولذلك كانوا يستغلون استغلالا كاملا ما يبثه نجاحهم السابق فى قلوب أعدائهم من رعب وهلع .

والنجاح وليد النجاح . فالعدو ينظر إلى القائد الذى يحرز نصرا عظيما نظرة التقدير المشوب بالحذر والتهيب ، وهذا يتيح لعدوه أن يوالى انتصاراته عليه وعلى الأخص عندما يقوم بالأعمال التى تتصف بالجسارة .

وليس لمبادىء الحرب فى ذاتها من أهمية ، وإنما تستمد أهميتها الحقيقية من تطبيق القادة لها . ولن يجعل مجرد الإلمام بها من الرجل العسكرى قائدا ، وإنما يزيد ذلك من مقدرة القائد وكفاءته .

وليس سوى القائد العبقرى فقط ، ذلك القائد ذو العقلية الفذة ، والشخصية القوية ، من يستطيع أن يفعل ذلك . أما غيره من القادة العاديين ، فيجب

أن يدرسوا أولا أهمية علم النفس العسكرى قبل أن يقودوا القوات فعلا فى الميدان .

ويقول نابليون : « تعدل القوى المعنوية فى الحرب ثلاثة أمثال القوى المادية» . وهذا قول حق ، فالجيوش المقاتلة يقودها بشر من البشر ، وجنودها ناس من الناس ، وملاك فن الحرب إنما هو سلوك هؤلاء وهؤلاء ، بصرف النظر عما يستخدمونه من عتاد ، ونوعه ومقداره .

الباب الثامن

المعلومات

أشد ما يزعج القيادة العليا ، هو اضطرارها للقتال وهى فى جهل بالمعلومات . وتحتوى تنظيمات الجيوش ، فى كلا زمنى السلم والحرب ، على هيئات خاصة بجمع وتمحيص المعلومات التى يمكن الحصول عليها ، عن الجيوش المعادية التى يحتمل أن تقاتلها . وكذلك على هيئات أخرى تحول دون حصول الأعداء على ما يبغونه من معلومات . ولن يتمكن القائد من وضع خطة الحملة التى سيخوض غمارها ، دون أن تكون لديه المعلومات الصحيحة الوافية ، التى يبنى عليها هذه الخطة ، ويؤدى النقص فى هذه المعلومات إلى أسوأ النتائج .

ونظرا لما للمعلومات من أهمية بالغة فى الحرب ، فقد احتلت مكان الصدارة فى أوامر العمليات الحربية ، فأصبحت « المعلومات عن العدو » هى أولى فقراته .

فما هى تلك « المعلومات عن العدو » وكيف يتمكن القائد من جمعها ؟

تقوم رئاسة هيئة الأركان حرب فى الدولة فى زمن السلم ، بإعداد العدة لما ينتظر من حروب مقبلة ، ويعتبر جمع المعلومات عن الأعداء ، جزءاً رئيسيا من هذا الإعداد ، يطلق عليه اصطلاح « المخابرات » .

ولا ريب أن كل قائد يود أن يعرف الخطط التى يضعها خصمه ، ولكنه يدرك أيضا أن الدولة المعادية تحيط وثائقها بكل أسباب الحفظ والسرية ، ويكون مما يجافى الصواب أن يبذل كثيراً من الجهد والوقت ابتغاء الحصول

على مالا يتهيأ لنجاحه إلا فرصة ضئيلة . وبفرض أنه يمكنه الحصول على تلك الخطط ، فلن يستطيع أن يعرف هل وضع خصمه غيرها أم لم يضع . وسوف يكون ضرر هذه الخطط أكبر من نفعها ، لو تعذر أن يحصل عليها قبل نشوب الحرب مباشرة .

وتبذل المخابرات مافى وسعها ، لتعرف مايعتنقه قائد الجيش المعادى من الآراء الاستراتيجية ، وكذلك تنظيم ذلك الجيش ، ونوع عتاده ، ومبادئه التكتيكية التى يهتدى بها فى القتال .

ويقوم الملحقون العسكريون من جانبهم بحضور المناورات لمعرفة تنظيم القوات الموجودة ، وما تتبعه من تكتيكات . كما يزورون المدارس العسكرية للإلمام بعقائدها ، ويجمعون المعلومات عن القادة ، وعن طاقة الدولة الصناعية ، ومقدرتها فى انتاج العتاد والمواد الغذائية ، وحالة الروح المعنوية العامة .

وقيمة هذه المعلومات أكبر مما لمعرفة الخطط نفسها ، أو تصميم العتاد ، وإن كان للأخيرة أهميتها البالغة . فقد جهد الألمان سنوات عديدة يبحثون عن أسرار مدفع الميدان الفرنسى ٧٥ مم الذى كان يفضل غيره من المدافع . وكذلك حافظوا هم واليابانيون قبل الحرب العالمية الثانية على كثير من عتادهم سراً مغلقا .

وحمل جنكيزخان علم السبق فى هذا المضمار ، فلم يكن زعيم المغول يشن هجومه على أمة أبدا ، إلا بعد أن يبعث إليها بالمئات من عملائه ، فى زى التجار ، والسائحين ، واللاجئين ، ليحصلوا على المعلومات الدقيقة عن موارد الدولة ، وشخصية الحاكمين ، وحالة الجيش ، ومبادئه التكتيكية . وكذلك كان له فى بلاد أعدائه من أفراد الطابور الخامس من يبث الفوضى فى ربوعها .

فالقائد فى حاجة إذن قبل نشوب الحرب ، إلى أن تكون لديه فكرة صحيحة تفصيلية عن عدوه ، وطريقة تفكيره ، وأسلوب قتاله ، وأنواع العتاد الذى يستخدمه فى القتال . كذلك لن يدخر وسعا فى أن يحصل على المعلومات الدقيقة عن خططه الحربية أو عن « أسلحته السرية » على الرغم مما يدركه من صعوبة النجاح فى هذا ، ولكنه لن يؤجل وضع خططه الحربية إلى أن يحصل عليها .

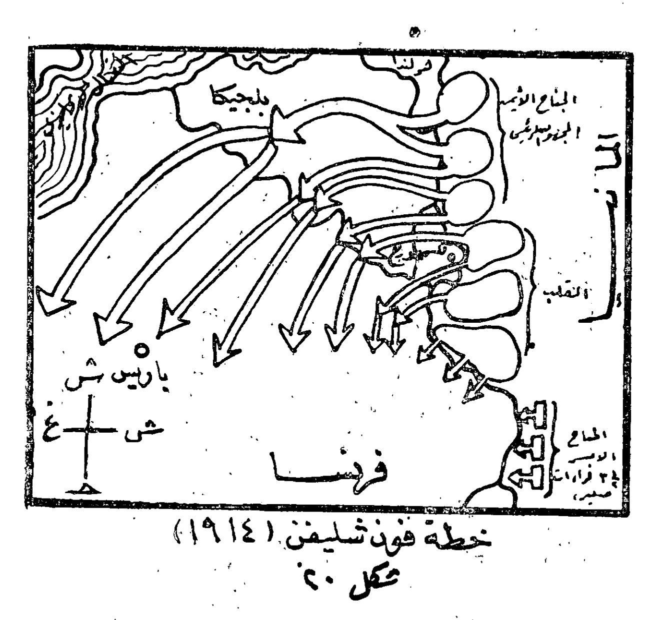
وعندما تصبح الحرب وشيكة النشوب ، تتغير الصورة الكلية للمخابرات ويصبح من الضرورى حينئذ تحديد العدو ، ومعرفة نواياه ، واللجوء إلى كل وسيلة تمكن من جمع المعلومات التفصيلية عن أوضاع قواته ، وتحركات وحداته ، ووجهة هذه التحركات ، والأماكن التى تظهر فيها وحدات استكشافه ، والمواضع التى يتم فيها تكديس مؤنه وعتاده . . الخ

وكان فشل المخابرات الفرنسية فى تقدير قوة الجيش الألمانى ، ومعرفة أوضاع قواته المخصصة للهجوم الرئيسى ، من الأسباب التى أدت إلى ما أحرزته خطة فون شليفن المعدلة عام ١٩١٤ من نجاح أولى . فقد سلمت القيادة الفرنسية العليا ، فى زمن السلم ، بأن العدو سوف يستخدم تشكيلاته الاحتياطية ، عند بداية العمليات ، ويشن هجومه بجميع قواته التى قدرتها بمقدار ٦٨ فرقة . وعندما نشب القتال فعلا ، كانت تظن المخابرات الفرنسية أن مايواجه قواتها هو ٤٥ فرقة معادية فقط بينما كان تحت قيادة فون مولتكه ٨٣ فرقة .

ويعطى محو السهمين الخارجيين من (شكل ٢٠) فكرة واضحة عما اعتقده القائد الفرنسى جوفر ، بالنسبة للقوة المعادية التى كانت تواجهه . ولا ريب أن مثل هذا الشعور الخاطىء ، الذى بنى عليه خططه قد قاده إلى إجراء تحركات غير سليمة بالمرة ، كما عرض ميسرته للنكبات .

وكانت الخطة الفرنسية رقم ١٧ ، التى نوهنا عنها فى الباب السابع ، قد وضعت لصد هجوم الألمان فى بلجيكا الجنوبية . ولم تكن تتوقع القيادة

الفرنسية أن يكون ذلك الهجوم بمثل المدى الذى تم به ، أو العنف الذى كان عليه . وقد أصدر جوفر بناء على ما اعتقده من أن جناح الألمان لن يمتد

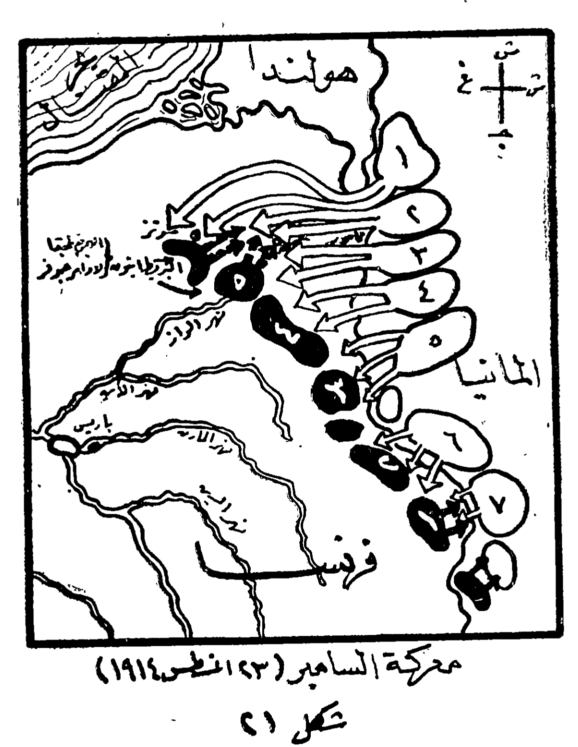


خطة فون شليفن (١٩١٤)
شكل ٢٠

بعيداً غرب الأردنز ، أصدر أوامره للجيشين الثالث والرابع بالهجوم فى اتجاه الشمال الشرقى لقطع خطوط مواصلات بوش فى الوقت الذى يقوم فيه الجيش الفرنسى الخامس والقوات البريطانية بتطويق قلب القوات الغازية وجناحها الآخر ، وردها على أعقابها .

ويبين (شكل ٢١) ما كان يحتمل أن يحدث لو نفذت هذه الأوامر . فقد كانت الفرق الأربعة عشر ، التى يتألف منها الجيش الفرنسى الخامس ، والقوات البريطانية سوف تتقدم بين الجيوش الأول والثانى والثالث الألمانية وقوامها ٣٤ فرقة ، ليقضى عليها بالهزيمة لا محالة . ولكن ماحدث فعلا ، أن لانزراك قائد الجيش الخامس الفرنسى ، ساوره الشك فى صحة المعلومات التى حصلت عليها المخابرات الفرنسية عن مقدار القوات الألمانية فى بلجيكا ، ولذلك توقف عند السامبر . ونظراً لأن قائد الجيش الثانى الألمانى ، لم يكن يتوقع

أن يعترض طريقه أية قوات بريطانية ، فقد شن هجومه مبكراً عن الموعد الذى حدد له ، فاصطدم بالقوات البريطانية فى مونز ، فكان فى هذا إنذار كاف لقائدها السير جون فرنش عن حجم القوات الألمانية التى تواجهه ، فلم يحرك قواته أبعد مما تقتضيه سلامتها .



معركة الساميبر (٢٣ اغسطس ١٩١٤)

شكل (٢)

وأدى فشل المخابرات الألمانية فى اكتشاف تحركات القوات البريطانية فى بلجيكا إلى اصطدام الجيش الثانى الألمانى على غرة بالقوات البريطانية ، فكان ذلك من العوامل التى أنقذت جناح الحلفاء الأيسر .

ويجب عندما تنشب الحرب أن يجهد القائد فى معرفة الآتى :

قوة العدو

أماكن وحداته

تصميمه

ولقد فشلت الخطط الاستراتيجية التى وضعتها القيادة الفرنسية العليـا ، وارتدت جيوش الحلفاء إلى نهر المارن ، لخطئها الفاحش فيما حصلت عليه من المعلومات الخاصة بالعدو . وكان نتيجة جهـــل القيادة الألمانية العليا بالمعلومات الخاصة بقسم صغير من جيش الحلفاء لا تزيد قوته عن أربع فرق ، أنها لم تتمكن من استغلال ماظهر فى الاستراتيجية الفرنسية على طول نهر السامبر من خطأ جسيم ، كان يلحق بالجناح الفرنسى الأيسر هزيمة منكرة .

ويجب ، منذ اللحظة التى يصبح نشوب الحرب فيها وشيكا ، أن تشغل هذه النقاط الثلاث دائما تفكير القائد ، وأن يدور حولها القسط الأكبر من جهود المخابرات .

وقد أنشأ كل من الجانبين المحاربين فى الجبهة الغربية الثابتة (١٩١٤ — ١٩١٨) من النظم ما يمكن من تحديد قوة وحدات العدو . ففى كل مركز رئاسة كانت توجد خريطة بالغة الدقة تبين مكان كل فرقة .

وعلى الرغم من هذا ، ومما تهيأ لمخابرات الفريقين من فرص الحصول على المعلومات الدقيقة ، فقد نجح كل منهما فى مفاجأة الآخر ، باتباع أساليب التمويه المتقن ، وإجراءات الحشد السريع أثناء الظلام .

والمخابرات عدو المفاجأة اللدود ، فحيثما نجحت الأولى تفشل الأخرى ، وحيثما فشلت المخابرات تتحقق المفاجأة . وبينما يبغى القائد أن تحصل له مخابراته على المعلومات ، فهو يريد فى نفس الوقت أن تبوء مخابرات العدو بالفشل فى تحقيق نفس الهدف .

وإن تزويد العدو بالمعلومات الكاذبة ، كان وسيظل من الأساليب المثلى فى تحقيق المفاجأة .

وقد حققت القيادة الأمريكية المفاجأة فى الهجوم على الأرجون فى

٢٦ سبتمبر عام ١٩١٨ بوضع جيش هيكلي شرق الفردان . فقد أرسلت ضباط الأركان حرب للاستطلاع ، وأنشأت مركز رئاسة ذلك الجيش فى المدينة ، ومدت خطوط المواصلات ، وأقامت مستودعات الذخيرة والاحتياجات ، وأتمت جميع التحضيرات اللازمة لتحرك قوات كبيرة فى المنطقة . وقد روعيت السرية التامة ، فلم يكن يعرف الضباط الذين أنجزوا هذه الواجبات أن كل ذلك كان يهدف إلى التضليل ، فانخدع بوش ، واستعد لمواجهة الهجوم فى هذه المنطقة لا فى الأرجون .

ويفيد القائد من المخابرات ، كأداة ينفذ بها استراتيجيته ، تماما كما يستخدمها لإمداده بالحقائق التى يبنى عليها هذه الاستراتيجية .

وقد ظل الجو قرونا عديدة ، عندما كان الإنسان عاجزاً عن التنبؤ بحالته ، عاملا مؤثرا فى إرباك خطط الفريقين المحاربين . فلم يكن ليعرف القائد متى ينهمر المطر غزيرا ، أو تهب عاصفة ثلجية ، أو ينتشر الضباب ، ولا أن يتنبأ بأية ظاهرة جوية أخرى تحول دون تنسيق العمليات الاستراتيجية .

وقد أضعف علم الأرصاد الجوية الحديث : الذى أمكن بواسطته التنبؤ بحالة الجو لأمد طويل ، أضعف إلى حد كبير ما كان يترتب على جهل القائد بالحالة الجوية ، بل جعل من الجو حليفا للقائد ، وأصبحت الحالة الجوية من « الأسرار العسكرية الهامة » تماماً كالخطط الحربية .

وفى سبتمبر ١٩٣٩ ومايو ١٩٤٠ كان الألمان على علم بحقيقة الحالة الجوية فى أوربا الغربية . ولم تحدد القيادة الألمانيه العليا هذين التاريخين للقيام بالهجوم إلا بعد دراسة حالة الجو المنتظرة دراسة مستفيضة . فالأرض الجافة كانت تزيد من كفاءة قواتهم الميكانيكية عن الأرض الموحلة ، وكان الطقس الجيد يزيد من فرص النجاح أمامهم .

وبرزت أهمية ذلك بصفة خاصة فى بولندا ، التى كانت بها شبكة رديئة

من الطرق ، وكانت تصبح الأرض فيها غير ملائمة لعمل القوات الميكانيكية فى الجو الرطب . وقد تم الهجوم فيها فى جو صاف جاف بحيث يدعو إلى الاعتقاد — عندما نستبعد أن ذلك كان محض مصادفة — بأن الألمان كانوا على يقين من حالة الجو خلال الحملة بأجمعها .

ونظرا لما انعقد على دراسة الجو من أهمية بالغة ، فقد أصبح يشغل قسطا كبيراً من تفكير القائد ، عند وضع خطته ، حتى لا يفسدها .

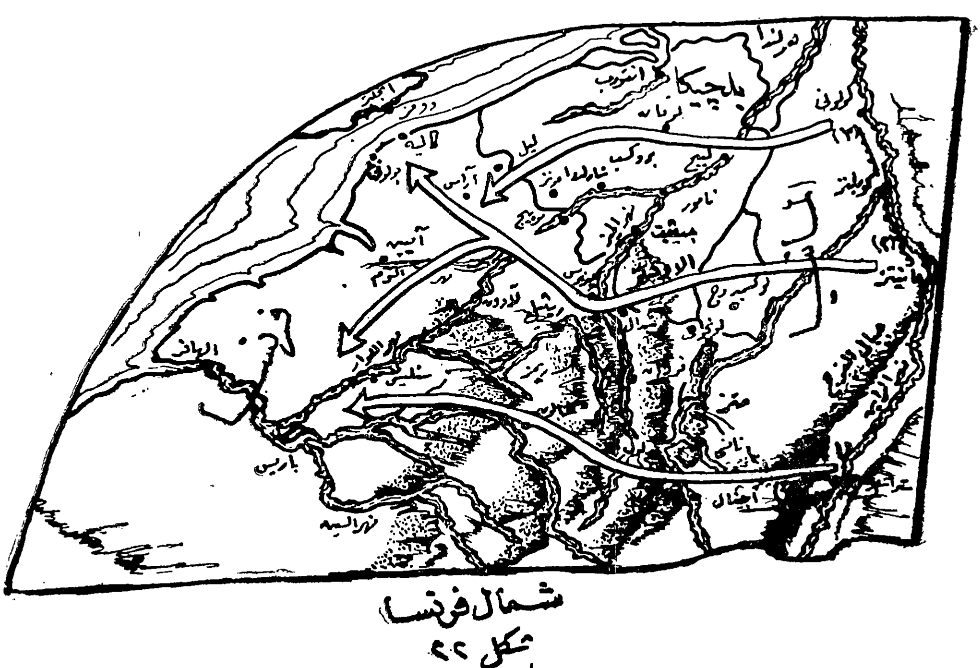
ولقد كانت الشعوب القاطنة شرقى نهر الراين وغربه تستعر بينها الحرب دائما منذ ما وجدت القبائل الجرمانيه إلى يونيو ١٩٤٠ . وفى جميع الحروب التى نشبت خلال هذه القرون المتعاقبة ، كانت مسارح القتال هى فى أراضى الراين وشمال فرنسا وبلجيكا . وكان كل من سيدان ومتز ونامور وشارلروا وبروكسل ودسلدورف وكوبلنز وغيرها هى بؤرة كل حرب نشبت فى أوربا الغربية . وعندما نشب القتال فى عام ١٩٤٠ سلك قادة الجيوش المحاربة هذه المسالك والممرات نفسها . وقاتلوا فى الأرض ذاتها ، فما هو السر فى ذلك ؟

إن طبيعة الأرض تتحدث حديثا مستفيضا عن ذلك السر (شكل ٢٢)

قبل أن يقرر القائد غزو المنطقة الشرقية والشمالية من فرنسا وبلجيكا ، فانه يدرس طبيعة الأرض من الخريطة . فلو بدأ بدراسته من الطرف الجنوبى فى ستراسبورج (١) فسيرى مباشرة جبال الفوج ، وخمسة من سلاسل المرتفعات الطبيعية الأخرى ، وعددا من الأنهار ، وجميعها تهىء مواقع دفاعية ممتازة .

وإذا اتجه قليلا نحو الشمال (٢) فسيرى أنه عندما يسلك طريقه من مونز نحو سيدان ثم إلى آراس فسوف يصل إلى الطرف الشمالى للتلال الواقعة

نحو الجنوب ، كما يستطيع بعد عبور نهر الميز أن يتقدم من الثغرة التى تقع بين منابع نهرى الواز والسامبر، متجها رأسا إلى البحر، ولكن تقدمه فى لوكسمبورج والأردنز سوف يكون فى أرض وعرة .



شمال فرنسا
شكل ٢٢

وعندما يتجه شمالا إلى أبعد من ذلك (٣) من كولونى ، فلن يعترضه إلا نهر الميز، وبعد أن يعبره يستطيع أن يدور فى اتجاه الجنوب الغربى عبر أرض مستوية ، لا يعترضها إلا قليل من الأنهار. وعندما يتقدم غرب الواز يعبر نهر السوم كى يصل إلى نهر السين، وإلى التلال التى تحمى فرنسا من الشرق

ويؤدى التقدم من سيدان، بعد اجتياز الأردنز إلى نفس المنطقة. كما أن التقدم الناجح من الجنوب (١) من نانسى وتول يقود إلى وادى الميز ثم إلى الأرض المنبسطة .

وقد جعلت الطبيعة الجغرافية لفرنسا من هذه الممرات ، أنسب طرق الغزو من اتجاه الراين، وقد اكتشفها القادة الذين شنوا هجومهم من الشرق

جميعا ، وسلكوا منها أنسب مايتفق مع المنطقة التى بدأ منها الهجوم ، ولم يكن لهم محيص عن ذلك .

وتهيء جميع أنواع الأراضى مثل طرق الاقتراب والممرات الطبيعية هذه ، التى تيسر التقدم من مكان إلى آخر . وتتشكل الجغرافية العسكرية بطرق المواصلات هذه، ويقتضى الهجوم على العدو التحرك من منطقة المهاجمة إلى منطقة العدو أو إلى مايجاورها من مناطق .

ولهذا ترتبط الخطط الاستراتيجية، بل وتتحدد بالأرض التى سيتم فوقها القتال. فإذا قرر القائد مثلا، أن جناح العدو الأيسر هو هدفه الاستراتيجى، فسوف تبين له دراسة الخريطة بجلاء ، استحالة الوصول إليه ، عندما لا يوجد طريق اقتراب يؤدى إليه ، الأمر الذى لا يملك له القائد دفعا .

فالمعلومات عن الأرض ، وعن طبيعتها هى إذن إحدى ضرورات الاستراتيجية . ويجب أن يتيسر للقائد جميع المعلومات الوافية عن الأرض التى قرر أن يقاتل فوقها : عن أنهارها، وجبالها ، ومسالكها وخطوط السكك الحديدية التى تخترقها ، وعما بها من مدن ، وغابات ، وعن كل مايؤثر فيها على طرق المواصلات ، ومقدرة العدو الدفاعية .

ويجب أن يتخذ القائد من الإجراءات ، مايكفل جمع المعلومات قبل وضع خططه الاستراتيجية ، دون أن يركن إلى ما قد يأتى به الحظ ، أو تهيئه المصادفة . وليس من الإسراف فى القوة تخصيص بعض العناصر للقيام بواجب المخابرات فى الجيش ، وإنما هو ضرورة تكفل النجاح .

ويؤدى الملحقون العسكريون فى زمن السلم ذلك العمل علانية ، ويرتبط مدى نشاطهم بعلاقة حكومتهم بالدول التى يعملون بها ، فلا يقيد هذا النشاط إلا عندما تسوء تلك العلاقة أو تصبح « حساسة » . وعندئذ يجب عليهم بذل مزيد من الجهد للحصول على المعلومات .

كما يؤدى عملاء الخدمة السرية واجبهم فى الحصول على المعلومات ، وتقع عليهم فى زمن السلم تبعة أعمالهم ، وتتبرأ منهم الدولة التى يعملون من أجلها عندما يلقى القبض عليهم .

ولا تستنكر الدول فى زمن الحرب أعمال الخدمة السرية ، التى تعتبر من أشق الأعمال وأخطرها فى كل زمان ومكان ، ولا يلقى القائمون بأعمالها من ذيوع الصيت ما يلقاه الجنود الشجعان ، بل يكون جزاؤهم وتقدير أعمالهم بصفة شخصية .

وهم يعملون غالبا فى المناطق التى تقع خلف الجيوش ، ليحصلوا على المعلومات الخاصة بالصناعة ، والأسلحة الجديدة ، وتحركات القوات الكبيرة ، والروح المعنوية .. الخ

وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات ، فلا يفيد منها القائد إلا بقدر ضئيل . وإنما يحصل على القسط الأوفى من المعلومات التى تفيده عن طريق قواته التى شكلت لذلك الغرض خاصة من الفرسان ، وطائرات الاستكشاف . فتستطيع الفرسان بعرباتها المدرعة ، ومركباتها الخفيفة أن تكتشف مكان العدو ، وقوته ، والوجهة التى تقصدها وحداته . كما تستطيع طائرات الاستكشاف أن تؤدى مثل ذلك العمل ، ولكنها لن تكون عوضا عن القوات البرية ، فلن يستطيع الاستكشاف الجوى بآلات التصوير التى لديه أن يكتشف مكان العدو عندما يختفى فى الغابات والمدن ، أو عندما تتحرك قولاته ليلا ، وكذلك لا تستطيع الفرسان أن تتوغل وراء خطوط العدو إلا لمسافات محدودة . أى أن لكل من الاستطلاع الجوى والأرضى مجاله عمله الخاص به ، ويعتبر كل منهما مكملا للآخر .

ويحاول كل من الجانبين المحاربين أن يكتشف أوضاع قوات خصمه ، ولذا يضع كل منهما ستارة من القوات البرية أمامها ليحول دون ذلك الاستكشاف ، كما يوجه ما لديه من طائرات القتال لمعارضة طائرات الاستكشاف المعادية .

وعند ما لا يستطيع القائد أن يستكشف مواقع خصمه لوجود ستارته القوية التى لا تتمكن من اختراقها قواته المخصصة للاستطلاع ، ويكون فى مسيس الحاجة إلى المعلومات ، فيلجأ حينئذ إلى « الاستكشاف التعرضى » وهو معركة هجومية صغرى هدفها اختراق موقع الستارة فى بعض أجزائها للحصول على المعلومات ، وتعرف عادة « بالإغارة » .

وتهدف الإغارة علاوة على ذلك إلى أسر بعض جنود العدو . وكمية المعلومات التى يمكن الحصول عليها من الأسرى الذين خارت عزائمهم ، دون تهديد أو إرهاب ، لتدعو حقاً إلى الدهشة . فحديث الأسير وإن لم يكن له قيمة فى ذاته ، قد تكون أهميته عظيمة إذا أضيف إلى غيره من الأحاديث . ومما يدعو إلى العجب أن الكثيرين من الأسرى يسرفون فى الكلام ، وخاصة عند ما ترهق أعصابهم قسوة المعركة . ويزخر التاريخ بالأمثلة التى أفاد القائد فيها من معلومات الأسرى ، وعلى وجه الخصوص عند ما يحملون رسائل هامة كالمراسلات الراكبين مثلا .

ولب عمل المخابرات العسكرية ، هو معرفة المعلومات الكاملة بتجميع الحقائق الضئيلة ، التى قد تبدو أنها غير ذات قيمة .

وفى مركز رئاسة القائد ، هيئة تعمل تحت إشراف أركان حرب المخابرات ، واجبها تلقى المعلومات من مصادرها المختلفة ، ودراستها ، وتحليلها ، واستنتاج الحقائق منها .

وللأركان حرب فى مركز الرئاسة واجب آخر لا يقل فى أهميته عن الواجب السابق ، وهو أن يكون دائما على علم بموقف العدو ، وبما يطرأ عليه من تغيير بحيث يتمكن من إعطاء القائد الصورة الصحيحة عنه . وأن يتمكن من استنتاج « طرق الحل المفتوحة أمام العدو » ، ويرشد قائده الى ما يحتمل أن يفعله . وهذا واجب خطير الشأن ، يتطلب التدريب المتواصل ، والخبرة الطويلة .

ويجب أن يستغل القائد جميع المصادر المتيسرة للحصول على المعلومات، وأن يستخدمها الاستخدام الصحيح ، بحيث تصل اليه المعلومات فى الوقت الذى تكون ذات قيمة فيه . وليس هـذا بالعمل الهين ، فهو يتطلب أن تكون مصادر جميع المعلومات على أعلا مستوى من الكفاءة ، وأن توجه التوجيه الصحيح ، حتى لا تصل إلى القائد المعلومات الخاطئة التى تضلله ، فضلا عن ألا تصل إليه المعلومات كلية .

ففى عام ١٩١٤ كان يستر مواجهة القوات التى تحت قيادة جوفر مايزيد عن ١٠٠٠٠٠ فارس ، وجد معظمها فى اتجاه الشمال ، حيث تتقدم حشود الألمان الضخمة ، وعلى الرغم من سلامة الخطة التى وضعها جوفر ، فقد فشلت فرسانه فى أداء واجبها ، فلم تستطع أن تقرر حجم القوة المعادية ، ولا أن تحدد جناحها .

ومن ناحية أخرى ، وجه فون مولتكة وفون كلوك وحدات الفرسان الألمانية بعيداً عن جناح قواتهما ، فلم تتمكن من اكتشاف القوات البريطانية كلية ، مما كان له أثره فى إضعاف الخطة الألمانية .

وتزداد درجة المغامرة فى خطة القائد الاستراتيجية ، تبعا لكمية المعلومات الدقيقة التى يحصل عليها ، وكفاءة القوات التى يقودها فى تحقيق التعاون والتنسيق والاتصال بينها .

ويقرر فردريك الأكبر أن القائد يستطيع أن يهزم عدوه بعد أن يحصل على المعلومات الدقيقة عن مواقعه . وقد لجأ القادة العظام إلى كل سبيل يمكنهم من ذلك ، فكان لنابليون شبكة من العملاء فى جميع أنحاء أوروبا ، كما كانت فرسانه تكوّن ستاراً من الداوريات يمتد على جميع أجناب جيوشه لتمده دائما بالمعلومات .

وقد فاق الألمان فى الحرب العالمية الثانية غيرهم فى الحصول على المعلومات الدقيقة ، فلم يتركوا فرصة سانحة تمكن من ذلك إلا استغلوها ، وتغلغل عملاؤهم فى كل بقعة من بقاع النمسا ، وتشكوسلوفاكيا ، وبولندا ، والنرويج ، وفرنسا ، ولكنهم باءوا بالفشل فى روسيا ، لما كانت تعرفه الحكومة الروسية من قيمة المعلومات .

ويقول نابليون : يجب أن يتصف القائد أولا بهدوء الأعصاب ، وأن يكون حصيف الرأى ، يزن الأمور وزنا صحيحا ، ويقدرها بقيمتها الحقيقية .

وتصل إلى مركز رئاسة القائد جميع المعلومات ، والتقارير الصادقة ، والإشاعات الكاذبة ، والآراء المتضاربة ، و من هذا جميعه ينشأ « ضباب الحرب » الحقيق . وإذا لم يستطع القائد أن يخترق حجب ذلك الضباب ، ويستخرج الحقائق الصحيحة فسيبوء بالفشل : وقد تميز عباقرة القادة ، بالعقلية الفذة التى تمكنهم من اجتلاء الحقائق بعد أن يهتكوا ستر ما يحيط بها من ضباب .

الباب التاسع

وضع الخطـــــــة

أتممنا فى الأبواب السابقة دراسة الاستراتيجية دراسة نظرية ، وعرفنا مبادئها ، ومدى تأثير الطبيعة البشرية عليها ، وأهمية قطع خطوط المواصلات ، وما يلحق بالاستراتيجية من ضعف ، إذا لم تبن على المعلومات الصحيحة . أما التطبيق العملى لها ، فلن يوضحها خير من الدراسة العميقة لإحدى الحملات الحربية التى كللت بالنجاح من بدايتها إلى نهايتها ؛ أى من مرحلة وضع الخطة إلى إحراز النصر . وخير مثال لهذه الدراسة ، هى حملة فرنسا فى الحرب العالمية الثانية ، التى لم تستغرق سوى ستة وأربعين يوماً (من ١٠ مايو إلى ٢٥ يونيو ١٩٤٠) .

وقد يكون النجاح الذى حققه الألمان فى تلك الحملة ، مرده إلى الحظ الباهر الذى حالفهم ، أو إلى الأخطاء التى ارتكبها الحلفاء ، لا إلى ما بنيت عليه الخطة من استراتيجية سليمة ، الأمر الذى لا يمكن التحقق منه ، إلا بعد دراسة الموقف فى الجبهة الغربية فى أكتوبر عام ١٩٣٩ ، من وجهة نظر القائد الألمانى ، وتمحيص خطته ، ومعرفة أسلوب تنفيذها ، على هدى مبادىء الاستراتيجية .

لا ريب أن الخطة الألمانية لم يتم إعدادها فى يوم واحد ، وكذلك لم يعدها القائد فون براوشتشك وحده ، ولكنها كانت موضع الدراسة سنوات عديدة ، وشارك فى وضع تفاصيلها الكثيرون من ضباط الأركان حرب .

ولابد أن يكون قد اجتمع القائد بهيئة الأركان حرب ، وقادة الجيوش

المقاتلة ، والقوات المعاونة ، فى أحد أيام شهر أكتوبر عام ١٩٣٩ ، ليتدارسوا ماتم وضعه من الخطة، وليتخذ القائد القرارات الأخيرة لتنفيذها . وقريب جداً من المنطق ، أن تكون دراسته قد تمت على النمط التالى .

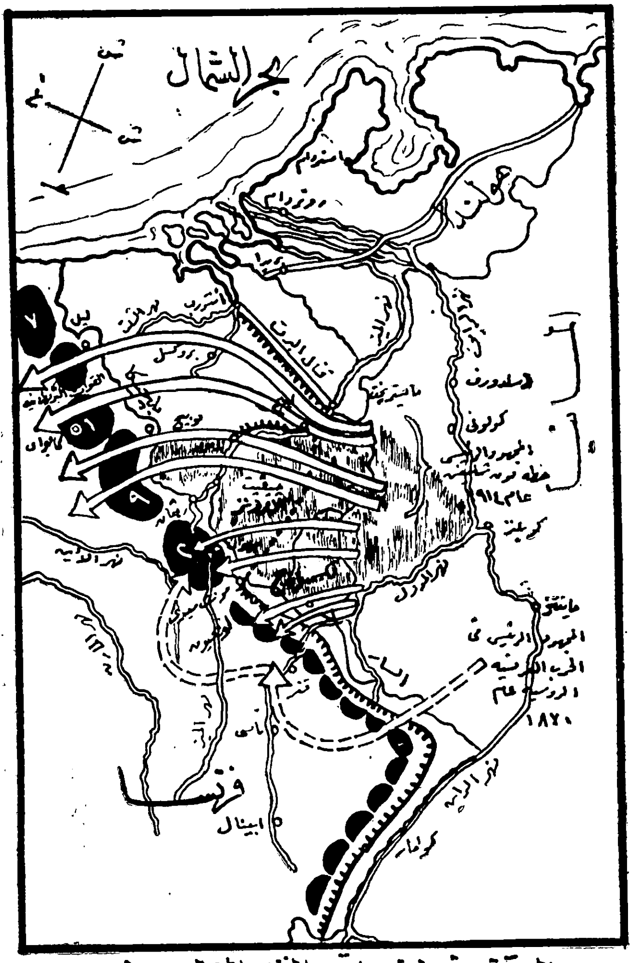
تنحصر طرق الاقتراب التى تؤدى من أراضى الراين ، إلى البقاع التى تمتد غربها من فرنسا وبلجيكا وهولندا (شكل ٢٢) فى ثلاث، هى الممتدة من نانسى إلى ابينال (رقم ١) ، والطريق المار خلال ثغرة سيدان (رقم ٢) ، ثم الطريق الذى يخترق بلجيكا (رقم ٣) . وهى نفس طرق الاقتراب التى سلكتها الجيوش فى عام ١٨٧٠ وعام ١٩١٤ .

وقد شيد الفرنسيون تحصيناتهم على مناطق المرتفعات فى منطقة نانسى ــ ابينال ، التى تهيء مواقع طبيعية للدفاع ، وأطلقوا عليها خط ماجينو ، وأصبح من العسير بعد ذلك التقدم من هذا الاتجاه . وتنتهى تحصينات خط ماجينو شمالا عند مونت ميدى وراء المنطقة الوعرة التى تكسوها الغابات فى لوكسمبورج وفى الأردنز ، والتى يعتمد عليها الفرنسيون مع نهر الميز فى الدفاع . أما الدفاعات فى بلجيكا فهى تمتد على طول نهر الميز، وقنال ما يستريخت ــ أنتورب ، وهى وإن لم تكن فى قوة تحصينات خط ماجينو ، إلا أنه لا يستهان بها . ويمتد من مونت ميدى غربا ، على طول الحدود البلجيكية الفرنسية ، تحصينات فرنسية أخرى تعتبر امتداداً لذلك الخط .

وقد دأبت صحافة الفرنسيين ، وهيئة الأركان حرب الفرنسية، فى الخمسة عشرة عاما التى سبقت الحرب العالمية الثانية ،تذيع أن الجيش الفرنسى يفضل جيوش أوروبا جميعا . وأتى عام ١٩٣٩ ولا يزال يؤمن الفرنسيون بهذا ، ولم يغير من ظنهم ما لحق بالجيش البولندى من هزيمة ، إذ عزوا ذلك إلى ضعفه الشديد .

وكان يحتل الجيش الفرنسى ، وما يعززه من قوات بريطانية (١٠ فرق)

مواقعه كما هو مبين فى (شكل ٢٣) . وأصبح للحلفاء فى المنطقة الممتدة من



الموقف فى فرنسا قبل الزحف الألمانى
١٩٣٩ - ١٩٤٠
شكل ٢٣

الشاطىء إلى رفين ٣٧ فرقة مشاة ، و٣ فرق مدرعة ، و ٣ فرق ميكانيكية ، و ٥ فرق من الفرسان . وفى المنطقة من رفين إلى نهاية الخط الدفاعى عند مونت ميدى فكان لهم ١٣ فرقة أخرى من المشاة . وكان يحتل تحصينات خط ماجينو ٢٥ فرقة .

وكانت الفرق الفرنسية مسلحة بالمدافع ٢٥مم و٤٧مم المضادة للدبابات . وكان يوجد بكل فرقة ٨ مدافع ٤٧ مم ، وأقل من نصف المرتب (وقدره ٦٠ مدفع) من المدافع ٢٥ مم . ولكن القوات الفرنسية عامة كانت تفتقر إلى المدافع الحديثة المضادة للطائرات ، فلم يوجد بها إلا كميات ضئيلة من المدفعية العتيقة التى استخدمت فى الحرب العالمية الأولى .

ولكن كان بكل من الفرق البريطانية العشرة ٢٧ مدفع ٢٥ مم مضاد للدبابات ، و ٤٨ مدفع ٤٠مم مضاد للدبابات ، علاوة على مابها من أسلحة حديثة مضادة للطائرات .

ولم تزد طائرات الحلفاء الموجوده فى فرنسا عن ٢٥٠ قاذفة قنابل و ٧٠٠ طائرة مقاتلة ، ولم تكن تضارع بأية حال طائرات الألمان التى من نفس النوع .

وكان احتياطى الحلفاء قوامه ٥ فرق فقط ، تقبع خلف خط ماجينو .

وكانت القوات البلجيكية تتكون من ١٨ فرقة من المشاة ، وفرقتان من الفرسان ، أما هولندا فكان بها ٤ فيالق مجموعها ٤٠٠٠٠٠ جندى .

وبلغ مجموع قوة الحلفاء ١١٩ فرقة ، منها ٩٧ فرقة مختلفة تمتد ما بين خط ماجينو والحدود الهولندية ، وليس بها سوى ٣ فرق مدرعة و ٣ فرق ميكانيكية .

ورأى القائد الألمانى أنه يستطيع أن يضع ١٥٠ فرقة على الأقل فى مواجهة قوات الحلفاء ، منها ١٢ فرقة مدرعة ، ويعاونها أسطولان جويان ، على أن يستخدم منها ١٤٠ فرقة أمام فرق الحلفاء الموجودة فى الجبهة الشمالية ، والتى تبلغ ٩٧ فرقة . وعلى الرغم من أن القوة العددية لفرقة الحلفاء بلغت ١٧٠٠٠ جندى ، بينما لا تزيد الفرقة الألمانية عن ١٥٠٠٠ جندى ، فقد

كان تفوق الألمان العددى على الحلفاء فى الجبهة الشمالية بنسبة ١,٧ : ١ . كما تفوقت المشاة الألمانية أيضا فى الأسلحة الثقيلة ، ومدافع الهاون ، ومدافع الماكينة ، والمدفعية المضادة للدبابات ، والمدفعية المضادة للطائرات، ومدفعية الميدان . وكذلك زاد عدد الدبابات فى الوحدات الألمانية المدرعة عن ضعف الموجود نظيرها من قوات الحلفاء ، كما كان للألمان السيطرة الجوية على الحلفاء .

وبعبارة أخرى ، فقد كان لدى الألمان من القوة المادية ، ما يكفل لهم تحقيق النصر الحاسم ، إذا استخدمت الاستخدام الصحيح ، على الرغم من مناعة مواقع أعدائهم المحصنة .

كما رجحت كفة الألمان أيضا فى الناحية السيكولوجية . وكان للانتصارات الرائعة التى أحرزوها فى بولندا ، أثرها العظيم ، فقد أظهرت هذه الحملة مواطن القوة فى الأسلحة الألمانية الجديدة ، وفى الأساليب الحديثة التى ابتدعوها فى القتال . كما اكتسب القواد الخبرة العملية ، وزاد صقل القوات فى ميدان المعركة .

وكان لدعاية الألمان أثرها القوى على كل من بلجيكا وهولندا . فلم تكونا قد انضمتا بعد إلى الحلفاء ، فحال هذا دون تنسيق الخطط الحربية .

وكانت تسود الجيش الفرنسى روح العزوف عن الحرب ، أو كان على على أحسن الفروض غير ذى شغف بالقتال . وكانت تستبد المخاوف بقادته عندما يفكرون فى مدى ما قد يلحق بالشعب الفرنسى من خسائر إذا اشتعلت نار الحرب . واستنام الحلفاء إلى سياسة حافلة بالتمنيات ، وظنوا أن فى مقدورهم محاصرة الألمان وتجويعهم من وراء خطوط الدفاع الفرنسية الحصينة . ولم يتخلوا عن سياسة التهدئة الحمقاء ، مؤملين أن ينتصروا فى الحرب دون قتال .

وكان لهذه الاتجاهات السياسية أثرها الخطير فى شل تفكيرهم السياسى ،

فأتاحوا للألمان — بتقيدهم بالسياسة الدفاعية السلبية المحضة — أن يضعوا خططهم فى حرية تامة .

وهكذا وضع الحلفاء باختيارهم المبادأة فى يد الألمان ، فلم يصادفهم أية عقبة فى سبيل إحرازها والمحافظة عليها .

وعلاوة على خضوع قادة الحلفاء العسكريين المطلق لموقف الحكومات السياسى ، فقد تشبث الجنرال جاملان بالفكرة السخيفة التى أوحت إليه أن الألمان سوف يهاجمون خط ماجينو ، وبذلك وضع احتياطيه العام خلفه . وكان هذا التفكير مظهرا آخر من مظاهر الاستراتيجية الدفاعية ، التى دلت على مدى السفاهة التى وضعت بها خطط الحلفاء الحربية .

وبذلك كان الموقف من ناحيتيه المادية والمعنوية فى صالح الألمان . فكان تفوقهم المادى بنسبة ٣ : ١ والمعنوى بنسبة ٤ : ١

أما موقف بلجيكا وهولندا فكان التزام موقف الحياد ، إلا إذا اعتدت القوات الألمانية على حدودهما ، فإنهما تنضمان حينئذ إلى الحلفاء . وكانت تقضى خطتهما الحربية باحتلال الخط الدفاعى الممتد فى بلجيكا من الشاطىء إلى مونت ميدى ، ثم على امتداد قناة ألبرت من أنتورب إلى مايستريخت ، وعلى طول نهر الميز إلى سيدان . وكانت القوات البلجيكية تحتل مواقعها فعلا ، بينما كان يمكن للقوات البريطانية والفرنسية أن تتم احتلال ذلك الخط فى ٤٨ ساعة .

وكان من الجلى أيضا أن البلاد الواطئة ستلتزم موقف الدفاع إذا لم يهاجمها الألمان ، ولكنها سوف تشارك فى الهجوم المضاد إذا باء الهجوم الألمانى بالفشل .

والشعب الهولندى شعب مسالم ، يفتقر جيشه إلى عتاد الحرب الحديث علاوة على ضعف تدريبه . وهو يميل من الوجهة النفسية إلى التزام موقف

الدفاع ، وسوف يحاول تجنب القتال إذا هاجمه الألمان ، إلى أن يأتيه المدد من بريطانيا بحرا ، أو من بلجيكا عن طريق بريدا . وكان افتقار الحلفاء إلى القوات الكافية ، لا يحملهم على إرسال قوة كبيرة شمال بريدا ، حتى لا يضعفوا خط دفاعهم الرئيسى ، أو يعرضوا تلك القوة لخطر العزل .

لكل ذلك قرر الألمان أن يوجهوا قوة صغيرة تقطع خطوط المواصلات بين هولندا ، وبين حلفائها فى الجنوب .

وقد حدث فى عام ١٨٧٠ أن قام فون مولتكه الكبير بالهجوم على نابليون الثالث عبر الراين ، سالكا طريق الاقتراب رقم ١ (شكل ٢٢) ، وهو الممر الجنوبى فى فرنسا . وتمكن باستيلائه على وادى الموزل جنوب متز من قطع خطوط مواصلات القوات الفرنسية فى تلك المنطقة وحصارها فى متز . وتقوم بعد ذلك فى وادى الميز والآين إلى وراء سيدان حيث تعرضت القوات الفرنسية هنالك لنفس المأساة .

وتمخضت هذه الهزيمة الحاسمة السريعة عن شروع فرنسا فى تقوية قواتها ، وإعادة تسليحها ، وعن المبادرة بتحصين المدن الواقعة على طول منطقة الحدود الجديدة ، فأصبحت منطقة حصينة يصعب مهاجمتها .

وعندما واجه فون شليفن هذه المشكلة ، ابتكر خطة الهجوم خلال بلجيكا ، سالكا طريق الاقتراب الشمالى ، وهو أسهل طرق الاقتراب فى أرض العدو ، الممر رقم ٣ (شكل ٢٢) ، بيد أن النقص فى المواصلات الجيدة ، أدى إلى انعدام التنسيق بين الجيوش المقاتلة فى أحرج الأوقات ، وعجل ذلك بهزيمة ألمانيا .

ثم شيد الحلفاء مرة أخرى ، تحصيناتهم الدفاعية فى وجه أى هجوم يوجه إليهم ما بين مايستريخت ونامور ، وسدوا كلية طريق الاقتراب الجنوبى خلال نانسى بإنشاء خط ماجينو .

ومن هذا يتبين أن الفرنسيين شيدوا تحصيناتهم فى اتجاه طريقى الاقتراب

اللذين سلكهما المهاجم فيما مضى ، فما الذى حدا بهم إلى أن يغفلوا الطريق الثالث الواقع فى ثغرة مونت ميدى — رفين ، فلم يشيدوا به التحصينات .

لاريب أنهم ظنوا أن أرض الأردنز الوعرة الواقعة على هذا الطريق تهيء الدفاع الكافى . نعم لقد عاقت هذه الأرض تقدم القوات فيما مضى ، وظن الفرنسيون أنها لا زالت عائقا فى وجه الجيوش الميكانيكية ، كما عاقت الفرسان والمشاة المترجلة ، بل كانوا على يقين من أن الدبابات الألمانية لن تتمكن من اجتياز هذه المنطقة الوعرة .

وبصرف النظر عن صواب هذا الرأى ، واستصواب الهجوم فى تلك الأرض الوعرة ، فهـــل يعتبر الهجوم عبر تلك المنطقة أنه فى الاتجاه الاستراتيجى الصحيح ؟

ففى عام ١٨٧٠ ارتد الجناح الفرنسى الأيمن (الجنوبى) أمام ضغط الهجوم الألمانى الذى قطع خطوط مواصلات الفرنسيين. وكانت ترمى خطة ڤون شليڤن أيضا إلى قطع نفس خطوط المواصلات من الشمال ، وذلك بالالتفاف حول جناح جوفر الأيسر . أما الهجوم فى سيدان فهو عملية اختراق تؤدى عند ما تكلل بالنجاح إلى الأرض المنبسطة الواقعة شمال نهرى الأين والسوم حيث طريق الاقتراب الممتد إلى الشاطىء عند بولونى دون أن تعترضه أية عوائق . وبالاستيلاء على هذا الطريق يتم عزل بلجيكا والقوات الموجودة بهـا عن فرنسا . وهذه هى استراتيجية الفصل بين القوات المعادية وهزيمة كل منها على حدة ، أو استراتيجية قطع خطوط مواصلات العدو الجانبية .

كما أن هذا الاختراق سوف يجبر الحلفاء على دفع جناحهم الأيسر فى بلجيكا نحو الأمام فى اللحظة التى يبدأ فيها هجوم القوات الألمانية . أى أن هذا الهجوم سوف يقصى جميع جيوش الحلفاء عن طريق الاقتراب : الأين — السوم ، فيتمكن الألمان حينئذ — خاصة وأن الاحتياطى الفرنسى فى الجنوب — من الهجوم على قلب قوات الحلفاء .

وقد تبلورت المشكلة فى إمكانية الهجوم عبر الأردنز . بيدأن فردريك الأكبر لم يكن ليدع المصاعب التكتيكية تحول دون تنفيذ الاستراتيجية السليمة . وهذا يتطلب أن يتم المجهود الرئيسى فى الهجوم فى جبهة مونت ميدى — جيفيت . ولا ريب أن الاستراتيجية التى تدعو إلى إجراء هذه المناورة استراتيجية ممتازة ، كما أن الاتجاه الاستراتيجى اتجاه صحيح ، علاوة على أن موقف الحلفاء ييسر فى هذه الجبهة أفضل فرصة للنجاح عنه فى أى مكان آخر ، وبذلك أصبح لزاماً أن تبتكر الأساليب التى تمكن من اجتياز منطقة الأردنز الوعرة .

وقد قررت القيادة الألمانية العليا مهاجمة الحلفاء بحشد قواتها فى جبهة مونت ميدى — جيفيت فى ربيع عام ١٩٤٠ بغرض الاندفاع نحو الشاطىء وفصل قوات الحلفاء إلى قسمين .

وكان ذلك هو أولى خطوات وضع الخطة الاستراتيجية الألمانية . فقد قررت القيادة الفكرة العامة ، وبحثت الموقف من جميع وجوهه ، وانتهت إلى قرارات محددة بالنسبة للآتى :

أولا : الاتجاه الاستراتيجى الصحيح .

ثانيا : المكان الذى يتم فيه الهجوم الرئيسى ، واتجاه ذلك الهجوم .

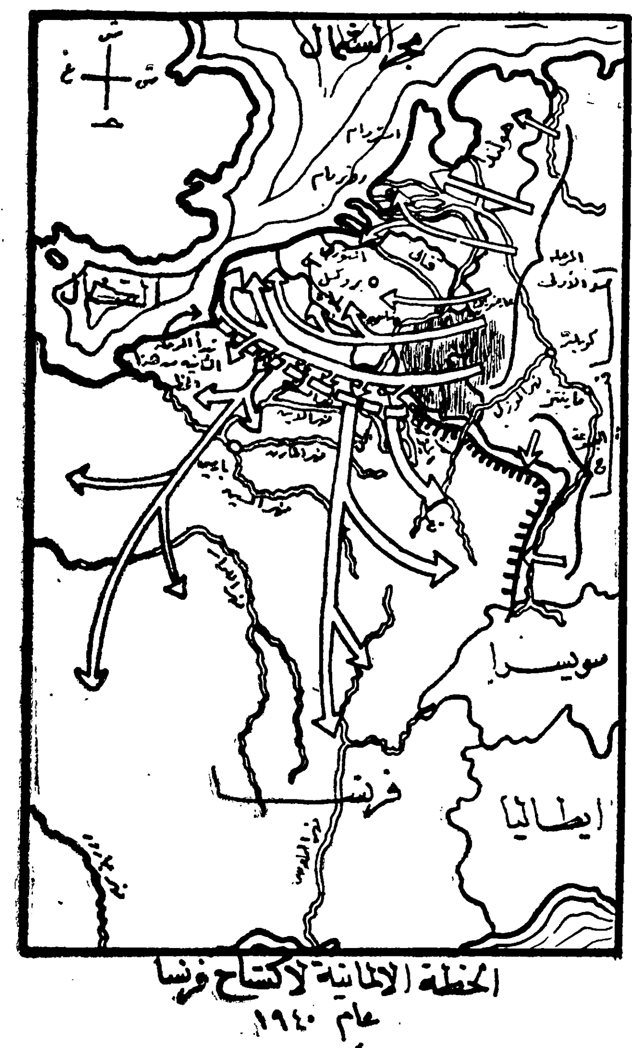
ثالثا : الغرض الاستراتيجى من المناورة .

وقد بنى ذلك القرار على أساس قطع خطوط المواصلات بين قوات الحلفاء ، إما بقطع خطوط تموينها ، أو خطوط مواصلاتها العرضية ، أو كليهما معا . كما بنى على اتباع مبدأ « الحشد » ، وذلك بانتخاب المكان الذى يكون للحشد فيه تأثيره الحاسم .

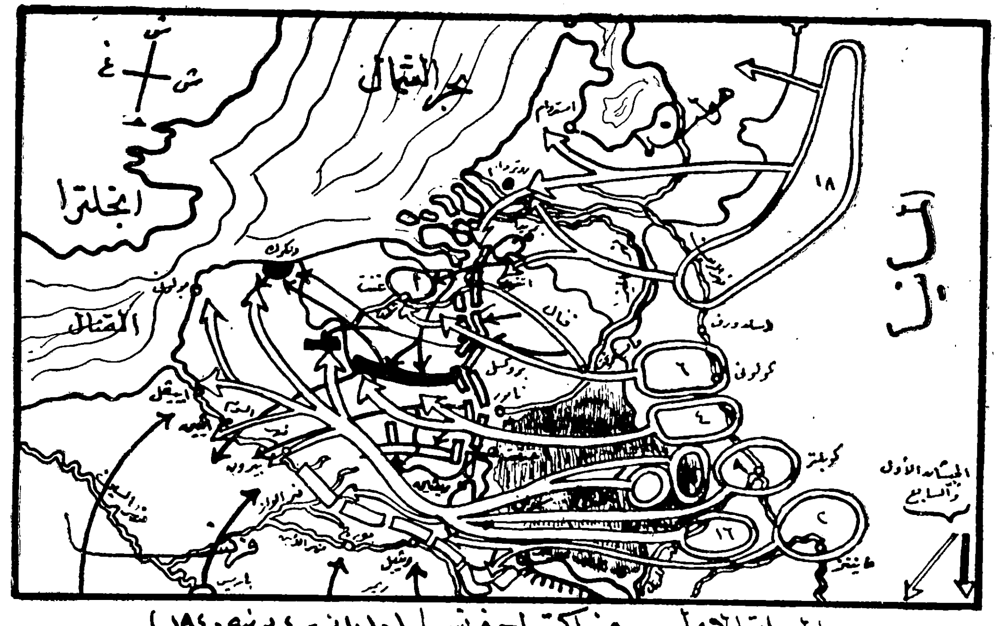
ويؤدى إتمام الاختراق إلى الفصل بين جيوش الحلفاء الموجودة فى بلجيكا ، وهى تقرب من ٦٦ فرقة ، عن بقية الجيش الفرنسى الذى يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ فرقة . كما يجب بمجرد نجاح الاختراق ، القضاء على قوات

الحلفاء الموجودة فى بلجيكا ، وهذا يتطلب أن توضع خطته بحيث يستطيع القسم الأكبر من القوات الألمانية عزل تلك القوات ، على أن يتولى بعض الأسطول الجوى الألمانى إعاقة تحرك الإمدادات من خط ماجينو وغيره من بقاع فرنسا إلى منطقة الاختراق .

وتقوم بقية القوات الألمانية بتثبيت قوات الحلفاء على خط السوم — الأين ، كما هو مبين فى (شكل ٢٤) ، وذلك لحماية الجناح الجنوبى للقوات الألمانية التى تقوم بتنفيذ واجبها فى الشمال .



الخطة الالمانية لاكتساح فرنسا
عام ١٩٤٠
شكل ٢٤



المرحلة الأولى من اكتساح فرنسا (١٠ مايو - ٤ يونيه ١٩٤٠)
شكل ٢٥

وشملت تفاصيل الخطة (شكل ٢٥) أن تتجمع ٤ جيوش فى اتجاه الجنوب والغرب فى منطقة كوبلنز — مونز. فاذا اكتشف الحلفاء هذا التجمع فانهم لن يكونوا على يقين من المنطقة التى سيتم فيها هجوم هذه القوات. وهل هى خط ماجينو أو منطقة الأردنز، وكان أمل الألمان معقوداً على خداعهم، خاصة وأن قادة الحلفاء لا يؤمنون بإمكانية الهجوم على الأردنز.

ولكى يزداد انخداع الحلفاء وبلبلتهم، تقوم بعض القوات فى الوقت المناسب بمناورات ثانوية على الحدود البلجيكية شمال نامور وعلى طول الحدود الهولندية وتتخذ الإجراءات لبث الإشاعات التى تؤيد ذلك بين قوات العدو.

ونظراً لأن الجنرال جاملان كان يتوقع أن يتم الهجوم الألمانى فى اتجاه

بلجيكا عنه فى أى اتجاه آخر ، فقد خصص الألمان القسط الأكبر من جهودهم الخداعية لكى يرسخ هذا الاعتقاد .

وقد تهيأت الفرصة السانحة للألمان لتحقيق المفاجأة فى نقطة الهجوم . فعلاوة على اعتقاد الفرنسيين باستحالة اجتياز منطقة الأردنز ، فان الألمان كانوا قد اعتنقوا مبادىء تكتيكية جديدة على عكس تعاليم نابليون التى تقرر أنه يجب أن يشن الهجوم فى المكان والاتجاه اللذين يحصل منهما المهاجم على أقصى مزية استراتيجية عند نجاحه فيهما ، دون أن يولى المصاعب التكتيكية إلا القليل من الاهتمام . وإن إتمام التحركات الابتدائية الصحيحة ، بالإضافة إلى عزم المهاجم على دفع الثمن ، يمكنانه من الاستيلاء على هدفه أياً كانت مناعته . وكان الفرنسيون يتبعون المبدأ القائل بأن الهجوم يجب أن يتم حيث تتيسر له أكبر فرصة لإحراز النجاح التكتيكى ، بغض النظر عما يترتب على ذلك النجاح من نتائج حاسمة . وبعبارة أخرى فلم يكونوا يؤمنون بالهجوم فى مناطق العدو المحصنة ، حتى ولو أدى انتصار المهاجم فيها إلى تحقيق أقصى نجاح استراتيجى .

وعلى هذا ، لم يكن يتصور الفرنسيون أن يقوم الألمان على الهجوم فى أرض الأردنز الوعرة ، بينما تمتد الأرض المنبسطة فى الشمال ، ففى هذا مخالفة صريحة لتفكيرهم المرتبط بالتكتيكات الكبرى .

وقد اعتزم الألمان محافظة منهم على السرية ، ألا يجمعوا القوات المهاجمة فى المناطق المخصصة لها ، إلا قبل الهجوم مباشرة ، على أن تنتشر القوات الألمانية قبل ذلك الحين فى مناطق للتدريب على طول الحدود ، وأن تجرى تجمعات هيكلية أمام مايستريخت وهولندا فى شهرى نوفمبر ويناير لجذب التفات الفرنسيين نحو ذلك الجناح .

كما اتخذوا جميع الاحتياطات الممكنة لإخفاء الخطة ، وعدم التلويح

بالهجوم ، وتوكيد المحافظة على حياد الدول المحايدة ، وكان للدعاية الألمانية نصيبها الكبير في بث ذلك الاعتقاد .

وأمل الألمان في تحقيق المفاجأة في القوة باتباع الأسلوب الذي ابتكروه في حملة بولندا . وقد أفادوا كثيرا مما اعتقدته الدوائر العسكرية الأجنبية ، من أنهم لم ينتصروا في حملة بولندا إلا لضعف الجيش البولندي ، فقد كان معنى هذا أن الحلفاء لم يفطنوا إلى قيمة الأساليب الألمانية الجديدة في القتال وأنهم لن يدركوا بكل تأكيد ثقل الضربة التي يمكن أن توجه إليهم ، ولا السرعة التي ستتم بها ، وسيندفع بها التقدم بعد نجاحها . كما أن استخدام فريق « الدبابة — قاذفة القنابل — المشاة الميكانيكية » سيأخذهم بالمفاجأة التامة .

وتكونت رأس الحربة في الهجوم من مجموعة المدرعات بقيادة فون كليست ، ويقود الجنرال رينهاردت الفيلق الشمالي ، والجنرال جودريان الفيلق الجنوبي ، ثم تتبع وحدات الجيش التاسع ، والجيش الثاني الفيلق الميكانيكي لحماية الجناح الألماني الجنوبي الذي يمتد على طول نهر الأين من مونت ميدي إلى منطقة الهجوم . كما امتد جناح الجيش الرابع نحو الغرب بوجود الجيشين الثاني عشر والسادس عشر اللذين يحميان الثغرة الموجودة في الجناح الأيمن .

وأكد الجنرال فون كليست أن مدرعاته لن تستغرق أكثر من يومين لتجتاز منطقة الأردنز حتى نهر الميز . وهي الفترة التي تكفي لتحرك القوات الفرنسية والبريطانية إلى بلجيكا الشمالية قبل أن يتضح هجوم الألمان الرئيسي ، فيتعذر عليها الإفلات من الشرك الذي وضع لها .

وكان واجب الجيشين الرابع والسادس الألمانيين هو القيام بالهجمات التثبيتية والثانوية . ولا ريب أن توجيه هجوم قوي بالقرب من نامور يرتبط بهجوم فون كليست جنوب سيدان ، سوف تهيأ لنجاحه فرصة رائعة

وخاصة عندما تهدد المدرعات مؤخرة الجيش التاسع الفرنسى من اليمين ، حيث يشن الجنرال فون كلوك قائد الجيش الرابع (وبه فرقة مدرعة واحدة)، هجوما قويا فى تلك المنطقة .

وقرر الألمان أن يتم الاستيلاء على الكبارى الموجودة فى ما يستريخت وعلى حصن بن ايمائيل فى ٤٨ ساعة ، ويقوم الجنرال فون رايشينو قائد الجيش السادس بهجومه الذى يهدف إلى الاستيلاء على هذه الزاوية من خط الدفاع البلجيكى بأسرع ما يمكن ، فيزيد ما يحققه من نجاح سريع فى هذه المنطقة من جذب التفات الحلفاء نحو بلجيكا . كما أن إحداث الثغرة عند ما يستريخت يؤدى من الوجهة الاستراتيجية إلى دفع خط الدفاع الممتد على قناة البرت بأكمله للخلف ، ويرد الجيش البلجيكى وراء دايل ، ويمكن الجيش السادس الألمانى من التحرك على جنب الجيش الرابع فى نامور مباشرة .

وقد أوضح الجنرال فون كوخلر ، قائد الجيش الثامن عشر الألمانى أنه سيخصص ٧ فرق فى مواجهة القوات الهولندية ، وأن فى استطاعته أن يصل إلى روتردام فى أربعة أيام . ويساعد الهجوم فى جذب التفات الحلفاء نحو الشمال ، كما يمكنه من الاستيلاء على الشاطىء المواجه لبريطانيا ، الأمر الذى يدع البريطانيين يفكرون مليا بعد سقوط فرنسا .

ولم تكن قوات الحلفاء الموجودة فى خط ماجينو من القوة بحيث تزعج الجيشين الأول والسابع الألمانيين ، بل كان الجزء الأكبر منها ضعيف الكفاءة . وأخذ الطيران الألمانى على عاتقه أن يرقب أية تحركات لقوات العدو تهدف إلى إمداد القوات الموجودة حول سيدان .

وقد شكلت الجيوش الألمانية فى ثلاث مجموعات : مجموعة الجيوش (ا) بقيادة الجنرال فون رونشتد ، وتتكون من أربعة جيوش ومجموعة مدرعات وعهد إليها بالقيام بالمجهود الرئيسى . ومجموعة الجيوش (ب) بقيادة الجنرال فون بوك ، وتتكون من ثلاث جيوش وما ألحق عليها من فرق مدرعة ،

وواجبها القيام بالهجمات الثانوية والتثبيتية . ومجموعة الجيوش (ج) بقيادة الجنرال فون ليب ، وتتكون من جيشين ، وواجبها تثبيت القوات الموجودة فى خط ماجينو .

ويعاون الأسطولان الجويان الثانى والثالث بقيادة الجنرال كيسلرنج ، وتحت إشراف القيادة العامة ، مجموعتى الجيوش (ا) و (ب) معاونة مباشرة ، ويقومان بإرباك تحركات قوات الحلفاء ، وخاصة القوات الاحتياطية ، عندما تتحرك من خط ماجينو نحو الشمال ، والقوات الموجودة فى بلجيكا عند تحركها نحو الجنوب والجنوب الغربى ، وكذلك عرقلة الهجمات المضادة على أجناب القوات الألمانية القائمة بالاختراق .

لقد بنيت الخطة على التنسيق الوثيق بين جميع العناصر المشتركة فى الهجوم . فرأس الحربة التى قوامها المدرعات الثقيلة ، لا تستطيع التشبث بالأرض ، ولذلك يجب أن تلحق بها الجيوش التى تتبعها بسرعة ، لكى تحتفظ بما تمكنت من الاستيلاء عليه منها . كما يعتمد نجاح الهجوم المدرع على تعاون الأساطيل الجوية ، التى تقوم بتدمير الأسلحة المعادية المضادة للدبابات ، وتحطيم الروح المعنوية للقوات ، بحيث تمكن المدرعات من التقدم السريع .

وصدرت التعليمات إلى قادة مجموعات الجيوش ، تقضى بالسيطرة التامة على جيوشهم ، وإبلاغ التقارير الدقيقة باستمرار عن أوضاع القوات ، ومدى نجاح العمليات ، بالمواصلات اللاسلكية التى كانت غاية فى الكفاءة ، وبأن يدفعوا مراكز رئاساتهم للأمام ما أمكن .

وبقى أن تدرب جميع الوحدات تدريبا كافياً وباستمرار على الواجب الذى عهد به إليها فى الهجوم ، بحيث يبلغ الجنود أقصى درجات اللياقة ، عندما يحين موعده ، لتتمكن القوات من التحرك بسرعة وبعنف .

ويجدر بنا أن نتساءل عما إذا كانت الاستراتيجية التى اتبعها القائد الألمانى

استراتيجية سليمة ؟ والجواب بالايجاب . فإن الحلفاء وضعوا المبادأة بمحض اختيارهم بين يديه ، واعتزم هو أن يفيد منها أقصى فائدة ، كما اتخذ جميع الخطوات الممكنة التى تحقق المفاجأة فى قوة الهجوم ومكانه . وكان مبدأ الحشد هو الأساس الذى بنيت عليه الخطة بأكملها ، حيث تتجمع المدرعات التى تتكون منها رأس الحربة فى الهجوم بأقصى سرعة فى آخر لحظة . وقد كفل القائد توحيد القيادة ، واتسمت خطته بالبساطة : إذ تألفت من ضربة مباشرة توجهها قوة كبيرة تعاونها أخرى على أحد جناحيها . وكان تدريب القوات ، وتنفيذ التحضيرات فى الأشهر الستة التى تلى وضع الخطة ، بقصد تذليل المصاعب التى تعترض اجتياز منطقة الأردنز الوعرة ، بينما يتم أيضاً خلال هذه المدة وضع جميع التفاصيل التى تكفل تحقيق التنسيق والتعاون والاتصال بين القوات .

ووضعت الخطة على معلومات صحيحة كاملة . واشتملت أيضاً على عنصر المغامرة فى الحرب ، باجتياز منطقة الأردنز الوعرة . فإن المدرعات والمركبات الأخرى إذا أعاقتها المصاعب فى اجتيازها بحيث تؤخرها كثيراً عن الموعد المقرر لها ، فقد يؤدى ذلك إلى فشل الهجوم ، أو على أحسن الفروض ، يصبح غير ذى نتائج حاسمة .

بيد أن المغامرة كانت على هدى الوقت المتيسر للتحضير للهجوم ، ولذلك يمكن القول بأن هذه الخطة من أبرع ما تمخضت عنه الحروب .

وبانقضاء فصل الشتاء ازدادت الحالة سوءاً فى جيوش الحلفاء ، فكان تدريب الكثير من الوحدات تدريباً ناقصاً ، ومرت الشهور تباعاً فى التلكؤ والتذمر والشكوى . وكان جاملان وضباطه جد حريصين على ألا يثيروا الألمان ، ولذا لم يسمح مطلقاً باطلاق النار .

وكانت هولندا وبلجيكا تتعلقان بأذيال الحياد ، وأبقت بلجيكا ٤ فرق على الحدود الفرنسية .

وفى ١٢ نوفمبر عام ١٩٣٩ قام فون براوشتشك بخدعته الأولى ، التى اتخذت مظهر المناورات التدريبية ، فألجأت بلجيكا إلى أن تحرك فرقها الأربع من الجنوب إلى الشمال ، ثم بدأت بعدها المباحثات بين هيئة الأركان حرب البلجيكية وبين الحلفاء .

وعندما قام الألمان بمناورتهم الثانية فى ١٥ يناير ، على الجانب الألمانى من الحـــدود ، كان قد تم تنسيق الخطط بين بلجيكا والحلفاء ، وتحركت القوات البلجيكية إلى الخط الدفاعى الممتد على قناة ألبرت ونهر الميز ، كما تقدمت القوات البريطانية ، ثم الجيشين الأول والتاسع الفرنسيين وأسرع الجيش السابع الفرنسى متجهاً إلى الشاطىء عند بريدا ، للمحافظة على خطوط المواصلات الممتدة بين هولندا والحلفاء .

وتوقع الحلفاء أن يحدث الهجوم الألمانى على نمط الهجوم الذى قام به فون شليفن ، ولم يخامرهم أدنى شك فى أن الألمان لن يشنوا هجومهم من الأردنز ، وَلكنهم ظنوا أنهم يستطيعون الهجوم عبر سويسرا .

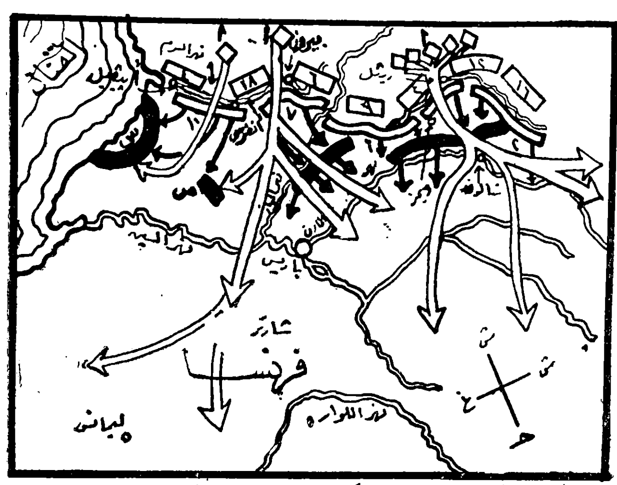
وهكذا انقضى الشتاء ، وقادة الألمان فى شغل شاغل بالاستعداد للهجوم ، بينما كان الحلفاء غارقين فى تمنياتهم .

ومع ذلك ، فكانت مخابرات الحلفاء نشطة ، تؤدى واجبها بكفاءة . وأبلغت جاملان بالمعلومات الخاصة باستعداد الألمان للهجوم ، وفى ١٥ ابريل أكدت أن الهجوم أصبح وشيكا ، وفى ٣ مايو كانت تتوقع قيادة الحلفاء أن يبدأ الهجوم بين لحظة وأخرى .

ومعنى هذا أن الهجوم لم يعد ينطوى على مفاجأة الحلفاء ، فقد أنذرتهم به المخابرات ، واتخذوا الاستعدادات اللازمة لإجراء التحركات السريعة إلى بلجيكا ، كى يقعوا باختيارهم فى الشرك الخفى الذى نصبه لهم الألمان .

ثم وضع القائد خطته للمرحلة الثانية من الحملة . فقرر أن يكون خط

الابتداء للقوات المكلفة بالهجوم على فرنسا فى هذه المرحلة ، هو الخط الواصل من فرنسا — السوم — الأين — مونت ميدى (شكل ٢٦) ، وهو



المرحلة الثانية من اكتساح فرنسا (٥ - ١٠ يونيه ١٩٤٠)
شكل ٢٦

الخط الذى كانت تكفل منه هذه القوات وقاية الجناح الجنوبى فى المرحلة الأولى عند اكتساح بلجيكا .

ويبين هذا القرار أن الألمان قرروا التخلص من فرنسا قبل أن يقوموا بغزو بريطانيا إن كانت تدعو إليه الضرورة .

ولو أن الألمان قاموا بغزو بريطانيا ، واتخذوا موقف الدفاع ضد فرنسا على خط السوم — الأين ، لكانت استراتيجيتهم هذه غير سليمة ، وذلك لوجود جيش برى قوى على جناحهم ، فى الوقت الذى يقومون فيه بالهجوم على الشاطىء الآخر ، دون أن تكون لهم السيطرة البحرية المطلقة ، هذا علاوة على أن ذلك يقسم القوات الألمانية ويجعل من المتعذر أن تعاون بعضها . كما تتيح تلك الاستراتيجية أمام فرنسا الفرصة لكى تفيق من الصدمة العنيفة التى توجه إليها فى المرحلة الأولى ، فتتمكن من إعادة تنظيم جيشها ، وتقوية التحصينات التى تواجه الألمان .

ولكن استراتيجية الهجوم على فرنسا قبل غزو بريطانيا ، تمكن من تتبع الهجوم على جيش متخاذل ، ومطاردته حتى يتم النصر الكامل . وبينما تقتضى المطاردة عبر القنـــال الانجليزى التوقف طويلا لجمع السفن ، فان المطاردة البرية فى فرنسا يمكن إتمامها دون توقف،ودون أن يتعرض الجناح الألمانى لخطر الهجوم من انجلترا بجيشها الذى سوف تضعفه المرحلة الأولى من العمليات ، بحيث لا يستطيع القيام بالهجوم . وإذا اعتزمت بريطانيا أن تهاجم الجناح الألمانى ، فستضطر إلى إجراء ذلك عبر البحر وضد شاطىء يحتله العدو . ولا ريب أنها سوف ترسل ما يتبقى من قواتها إما إلى جنوب فرنسا لتعاون القوات فى الثبات على خط السوم — الأين ، أو أن تحتفظ بها كنواة لقواتها الدفاعية ، وهذا لا يتطلب من الألمان أكثر من الاحتفاظ بقوات خفيفة على طول الشاطىء ، وحشد بقية قواتهم ضد الفرنسيين .

وكان يأمل الألمـان أن تستسلم بريطانيا بعد هزيمة فرنسا ، وأن تسيطر الأساطيل الجوية الألمانية على القنال الانجليزى بسهولة ، وتدمر الأسطول البريطانى لو تجاسر على التدخل فى هذا البحر الضيق .

ويتيح خط السوم — الأين للألمان ، أن يوجهوا مجهودهم الرئيسى إلى باريس إما شرقها وإما غربها . وكانت خطة فون شليفن تحث على توجيه الجناح القائم بالتطويق نحو غرب باريس ، ثم يندفع بعد ذلك نحو جنوبها الشرقى ، خلف نهر السين . ولـكن المرحلة الأولى من الخطة الألمـانية الحالية ، كانت تدع حشد القوات الألمانية بين سيدان وبيرون ، وكان دفع ذلك الحشد إلى الغرب أبعد من ذلك ، يعرقل تنفيذ المرحلة الثانية . ولم يكن من الملائم فى عام ١٩٣٩ القيام بمناورة التطويق واسعة المدى ، التى تمت فى عام ١٩١٤ .

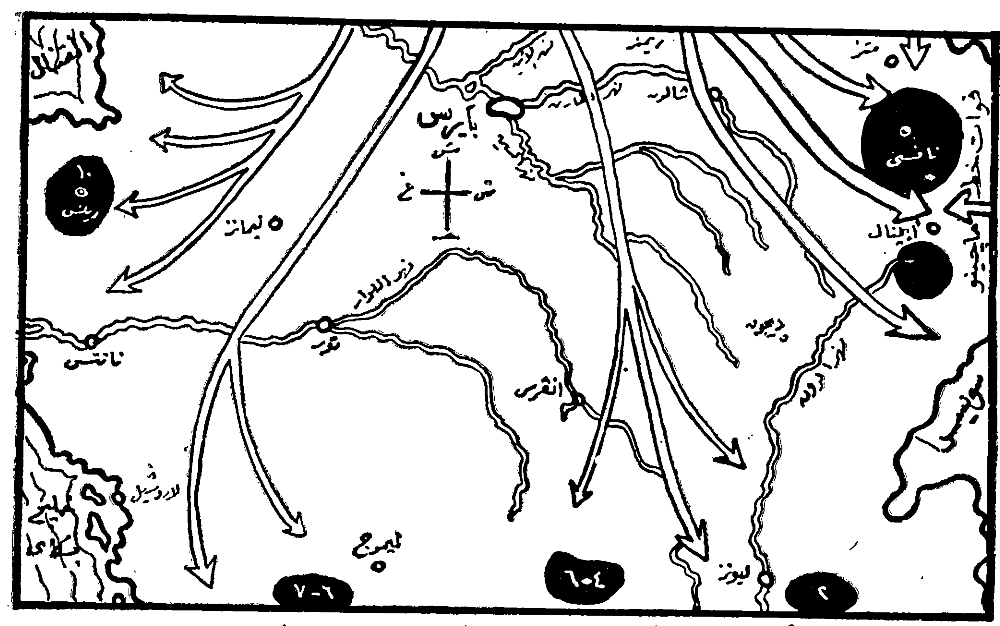
وكان خط ماجينو ، سيحتجز وراءه ، جزءا كبيرا من القوات الفرنسية فى شرق فرنسا . وسوف تحجم القيادة الفرنسية العليا عن التخلى عن المنطقة

المحصنة ، والارتداد فى اتجاه الجنوب الغربى ، مهما عظم الخطر ، وستقوى الهجمات التثبيتية التى تقوم بها مجموعة الجيوش (ج) ، من ذلك الإحجام .

ويمكن حشد القوات بالقرب من سيدان ، من القيام بالهجوم خلال جبهة الأين ، وشرق باريس بأسرع مما تستطيعه نفس القوات المهاجمة من غرب باريس ، عبر نهر السوم .

ويقسم الاختراق على نهر الأين قوات العدو إلى قسمين : حامية خط ماجينو ، والجيوش التى تقاتل فى الغرب . وبهزيمة أى قسم منها سوف تتداعى فرنسا ، وترتمى فى أحضان اليأس .

وهذا كله يدعو إلى إتمام المرحلة الثانية كما هو مبين فى (شكل ٢٧)



حركة الالتفاف فى فرنسا (من ١٠ الى ٢٥ يونيه ١٩٤٠)
شكل ٢٧

بالمجهود الرئيسى شمال شرق باريس على نهر الأين ، وبالهجوم الثانوى عبر نهر السوم بالقرب من بيرون ، وبالهجمات التثبيتية التى تشنها مجموعة الجيوش (ج) على التحصينات الفرنسية .

وفيما بين أكتوبر عام ١٩٢٩ وأبريل عام ١٩٤٠ ، وضعت خطة الحملة على النرويج ، ثم نفذت . وكان هدفها مزدوجا ، وذلك بأن تسحب القوات من أرض المعركة الرئيسية فى فرنسا ، علاوة على ما تضيفه من المصاعب ، التى سوف تواجهها بريطانيا بعد سقوط فرنسا . وكان من المعتقد أن بريطانيا سوف تجد نفسها فى موقف يدعو إلى اليأس ، وخاصة بعد أن يستولى الألمان على الساحل الأوروبى الذى يواجهها .

وقد فشل كلا الهدفين ، فلم يرسل الحلفاء إلا ثلاث فرق خفيفة من فرنسا ، ولم تتخل انجلترا عن فرنسا بعد سقوطها . بيد أن ألمانيا أفادت من هذه الحملة أن النرويج أصبحت عند الهجوم على روسيا ، حاجزا بينها وبين حلفائها فى الغرب .

وهكذا انتهت الفترة التى تم فيها وضع الخطة ، وعمل التحضيرات الخاصة بها . ثم بدأ الهجوم فى ١٠ مايو عام ١٩٤٠ . وارتكن القائد الألمانى ، عند تحديد يوم الهجوم ، على التنبؤات الجوية بعيدة المدى . فكان يبغى أن تقاتل مدرعاته على أرض صلبة جافة ، وخاصة فى منطقة الأردنز . ولم يتخذ الحلفاء حتى ذلك الحين أية خطوة قد تعجل بالهجوم ، بل ولم يقوموا بتدريب قواتهم تدريبا كافيا ، فتمكن القائد الألمانى من الانتظار إلى الوقت ، الذى أصبح فيه الطقس ملائما وحالة الأرض مناسبة ، لكى يوجه ضربته بالقوة والسرعة التى يبغيها .

بيد أن الحملات والمعارك ، لا يتم تنفيذها كالخطة الموضوعة تماما ، مهما بلغ ذلك التنفيذ من الكفاءة ، كما حدث فى حملة فرنسا .

وقد بدأت العمليات صباح ١٠ مايو بهجوم جوى شديد ، قامت به قاذفات القنابل فى هولندا ، وعلى طول الحدود البلجيكية الشمالية ، وقناة ألبرت ، وركن ما يستريخت (شكل ٢٥) . ثم تقدمت الجيوش الألمانية جميعها مباشرة فى الاتجاهات المرسومة لها ، وأسقطت قوات الهابطين

بالمظلات فوق هولندا وبلجيكا لقطع خطوط المواصلات ، وبث الفوضى والاضطراب . وقامت فرق جنود الجو بالهجوم فى هوج ، وروتردام وغيرها من الأماكن . ولم يكتب لها النجاح إلا فى روتردام ولكنها أوجدت كثيرا من الاضطراب ، وحولت قوات كبيرة ، ومجهودات عظيمة ، إلى مناطق خلف خط القتال .

ولم تستغرق حملة هولندا سوى ستة أيام إلى ١٦ مايو ، واكتسحت القوات الألمانية كل مقاومة واجهتها ، وهى تتحرك بسرعة وتندفع بعنف ، فلم تمكن القوات الهولندية، التى شملها الاضطراب ، من أن تقوم بأى دفاع . وكان الجيش الثامن الألمانى أقل منها عدداً ، ولكنه أفضل تدريباً ، وأضخم فى قوته الضاربة ، وكانت عملياته التى قام بها ، مثلا رائعاً لتفوق التدريب ، والأسلحة ، والخبرة ، على مجرد القوة البشرية الكبيرة .

وفى ليلة ١٠ مايو ، تحرك الجيش السابع الفرنسى شمالا فى اتجاه بريدا ، وانضم إلى القوات الهولندية الموجودة شرق هذه المنطقة ليلة ١٢ مايو . وعندما وضح يوم ١٣ مايو أن القوات الألمانية تغلبت على مقاومة القوات الهولندية فى الشمال ، لم يقم الجيش السابع بالهجوم المضاد على قوات الألمان التى تواجهه ، بل انسحب إلى بريدا .

وقد ظهرت منذ أول يوم فى الحملة ، نتائج التحضيرات الكاملة التى أعدها الألمان ، وتأثير المفاجأة فى الأسلوب الذى اتبعوه . واحتل الطابور الخامس الألمانى كبارى ما يستريخت سليمة ، وهزم حامية حصن بن إيمائيل ، الذى يسيطر على ركن مايستريخت ، فاستسلمت فى ليلة ١١ مايو . وترتب على ذلك ارتداد خطوط الحلفاء على كلا قناة ألبرت ، وخط الميز ، إلى نامور . وأصبح فى إمكان الألمان أن يكتسحوا جناحى أى منها من نقطة الاختراق فى ما يستريخت . وكان لهذا النجاح أهميته الفائقة للجيش الرابع

الألمانى ، فمكنه من التقدم إلى نامور . دون أن يهدد جناحه الشمالى (يجب ملاحظة انحناء نهر الميز من مايستريخت فى اتجاه الغرب إلى نامور) .

وسرعان ما ارتد الجيش البلجيكى إلى خط ديل ، وثبتت عنده أيضاً قوات الحلفاء التى وصلت يوم ١٢ مايو .

أما فى الجنوب ، فعلى الرغم من التحضيرات الطويلة ، فإن تقدم المدرعات لم يكن يسيراً فى منطقة الأردنز ، فلم تستطع أن تتقدم فى أول يوم إلا مسافة تبعد عن الهدف المحدد لها بمقدار ٢٠ كيلومتراً ، ولكنها اندفعت فى اليومين التاليين ، فى وجه مقاومة الفرسان الفرنسية ، ووصلت مساء يوم ١٢ مايو إلى التلال التى تواجه الميز ، والممتدة من سيدان إلى ريفين .

وأثناء ذلك تحركت القوات البريطانية والفرنسية ليلة ١٠ تحت ستر الظلام إلى بلجيكا . وفى يوم ١١ مايو تمكنت فرسان جاملان فى الأردنز من اكتشاف أن مجهود الألمان الرئيسى هو فى هذه المنطقة ، وعلمت قيادة الحلفاء العامة فى ذلك اليوم أين يكمن الخطر الحقيقى . ولم تتضح « المفاجأة فى نقطه الهجوم ، التى أعدها فون براوشتشك ، إلا قبل الهجوم الفعلى فى سيدان بيومين ! ومع ذلك فقد اجتذب الهجوم الذى وجه فى الشمال كثيراً من الاهتمام .

وأمر الجنرال جاملان فى الحال بتحرك فرقتين مدرعتين و ٩ فرق مشاة على وجه السرعة ، إلى المنطقة المهددة .

أى أن المفاجأة انعدمت بالنسبة للهجوم وقوته ، فلم تكن هى السبب الرئيسى الذى أدى إلى هزيمة فرنسا . فماذا كان إذن ؟

لقد قامت مجموعة مدرعات فون كليست بالهجوم عبر الميز سعت ١٦٠٠ يوم ١٣ مايو ، ونجحت فى عبور النهر فى ثلاثة مواضع عندما حل الظلام . وفى يوم ١٤ مايو تحركت العناصر المتقدمة ٣٠ كيلومتراً بعد ذلك فى اتجاه

الغرب . وفى مساء يوم ١٦ مايو وصلت المدرعات إلى ريڤيل على بعد ٤٠ ميلا من سيدان ، وعبرت نهر الواز فى ليلة ١٧ مايو على بعد ٦٠ ميلا من نقطة بدئها الهجوم .

وفى أثناء ذلك كان الجيش الرابع بقيادة فون كلوك ، قد عبر نهر الميز عند دينانت فى ١٣ مايو وحطم جبهة الحلفاء فى هذه المنطقة فى اليومين التاليين .

ولم يأت يوم ١٦ مايو إلا والقوات الفرنسية والبريطانية تتقهقر تقهقراً عاماً على طول المواجهة من لوفان إلى الجنوب ، ويتعقبها الجيش السادس والرابع من خلفها وعلى أجنحتها .

فأين كانت الامدادات الفرنسية وقتئذ ؟ لقد كانت الأوامر التى أصدرها جاملان هى السر فى هذا التحرك البطىء ، فلم يكن من المتوقع أن تصل الإمدادات إلى سيدان قبل يوم ١٤ مايو ، ثم تأتى بقيتها بعد ذلك حتى يوم ٢١ مايو . غير أن ازدياد ضغط الألمان ، أجبر جاملان على إصدار أوامره للجيش السابع بسرعة التحرك ، لمعاونة الجيش الأول ، على أمل أن يقوم احتياطى الجيشين الأول والتاسع بالهجوم المضاد فى الثغرة التى أحدثها فون كليست . وقد حاولت القوات البريطانية بعد ذلك أن تقوم بهجمات مضادة عنيفة من بلجيكا ، كما قامت بالهجوم المضاد أيضاً بالقرب من لاءون مجموعة مدرعة جمعت على عجل ، ووضعت تحت قيادة ديجول .

وقد باءت جميع هذه الهجمات المضادة بالفشل فيما عدا هجوم ديجول الذى سرعان ما ارتد إلى الوراء ، لافتقاره إلى المعاونة .

وكانت أسباب فشل جهود الحلفاء هى :

أولا : سرعة المدرعات الألمانية .

ثانيا : لحاق المشاة الميكانيكية الألمانية بالمدرعات عن كثب .

ثالثا : اتباع مبدأ الحشد ، وتدخل الطيران الألمانى ، الذى شل مواصلات

الحلفاء، فكانت تصل الأوامر متأخرة، واستحال بذلك تحرك احتياطى الحلفاء.

لقد كانت خفة الحركة ، والحشد هما عماد النجاح ، فقد فقد الحلفاء توازنهم من سرعة المدرعات الألمانية الفائقة ، ولحاق المشاة الميكانيكية بها . ومنذ ١٣ مايو وقع الجيشان الأول والتاسع الفرنسيان تحت ضغط مستمر، فلم تتح لهما الفرصة لإعادة التنظيم ، وإجراء التحضيرات لعمليات مضادة .

وكان لضغط الجيشين السادس ، والثامن عشر الألمانيين (الموجه من هولندا) بالمواجهة على القوات البلجيكية ، من الأهمية ما كان لضغط الجيش الرابع ، ومدرعات فون كليست فى الجناح على القوات الفرنسية . فقد شغل الأول قوات الحلفاء فى الجبهة ، للدرجة التى لم يتسع لهم معها الوقت لتعزيز جناحهم المحطم .

وليس لتفاصيل بقية الحملة ، ولاستسلام بلجيكا فى (١) (شكل ٢٥) ولتدمير الجيشين الفرنسيين الأول والتاسع ، وللانسحاب من دنكرك ، أهمية تذكر فى استراتيجية الحملة . فبحلول مساء يوم ١٧ مايو ، أى بعد أربعة أيام من عبور نهر الميز ، تضافر الحشد مع خفة الحركة ، والتعاون ، والتنسيق الدقيق ، على تحقيق النصر الحاسم .

كما كان لخفة الحركة ، ولإخفاء نقطة الهجوم تأثيرهما فى المفاجأة . ثم لما علم الحلفاء بنقطة الهجوم الرئيسى ، قبل توجيه الضربة القاصمة بيومين ، لم تمكنهم خفة الحركة الفائقة ، للقوة الضاربة الألمانية ، من إحضار الاحتياطى قبل إحداث الثغرة .

وكان للحشد الذى أعقب خفة الحركة أثره الحاسم فى إحراز النصر ، وقد حققته الجيوش الأربعة التى تبعت فون كليست ومدرعاته عن كثب .

فقد اندفع الجيش الألمانى فى اتجاه الجنوب ، على طول خط السوم — الأين (شكل ٢٥) وفى أثناء اندفاعه نحو بولونى ، توجهت قوات منه إلى آميين وبيرون حيث عبرت الشاطىء الجنوبى ، وأنشأت رءوس الكبارى .

وما أتى يوم ٤ يونيو حتى كان فون براوشتشك قد اتخذ مواقعه على هذه الأنهار (شكل ٢٦) .

وقررت القيادة الألمانية العليا أن يتم المجهود الرئيسى فى هذه المرة شرق باريس. ولم يستدع الأمر إجراء هجوم مفاجىء ،أو تحقيق المفاجأة فى نقطة الهجوم ، فقد كانت القوات الألمانية تتفوق كثيرا على القوات الفرنسية ، فتقدم الألمان بسرعة عظيمة .

وتم إجراء الهجوم الثانوى على طول نهر السوم من رءوس الكبارى التى أنشئت ، فقامت القوات المدرعة الألمانية ، ومن ورائها المشاه القوية بالاختراق يوم ٥ يونيو . وفى مساء يوم ٨ يونيو انقسم الجيش العاشر الفرنسى إلى عدة أقسام ، حوصر أحدهما فى (س) (شكل ٢٦) ، واستسلم فى يوم ١٣ يونيو ، وطوق قسم كبير آخر فى (ص) فى يوم ٩ يونيو . وفى أثناء ذلك ارتد الجيشين السادس والسابع الفرنسيين وراء نهر الواز .

وبدأ الهجوم الرئيسى يوم ٩ يونيو على طول نهر الأين ، بعبوره فى الأماكن التى تهيىء ذلك ، بحيث يمكن الإفادة من النجاح أينما تحقق ، ولذلك انتشرت المدرعات فى مجموعات صغيرة على طول الجبهة . وعندما نجحت مشاة الجيش الثانى فى عبور النهر غرب ريثيل ، جمعت هناك المدرعات بسرعة ، واندفعت خلف المشاة فى الثغرة التى أحدثتها .

وهذا مثل رائع عن خفة الحركة ، التى تمكن من الحشد ، بعد تحديد النقطة الحيوية . وكانت طبيعة الموقع الفرنسى ، تتيح للمهاجم أن يحقق غرضه بعد حدوث أية ثغرة فى أى موضع . وقد نجح الحشد نجاحا باهرا ، وارتدت الجيوش السادس ، والسابع ، والثانى الفرنسية للخلف إلى خط يقع جنوب شرق ريمز ، حيث دمرها مرة ثانية ، هجوم آخر مدرع ، فتشتت .

ولم يتطلب الأمر بعد ذلك غير الاندفاع نحو مؤخرة خط ماجينو ،

وتطويق أقسام الجيوش الفرنسية فى الجنوب . ويوضح (شكل ٢٧) مراحل العمليات الأخيرة .

وهكذا لحقت بفرنسا الهزيمة . فقد تمكنت الاستراتيجية الألمانية فى خلال ٤٦ يوما ، باتباعها المبادىء الاستراتيجية ، وتطبيقها التطبيق الصحيح ، من هزيمة جيش قوامه ثلاثة ملايين جندى هزيمة مطلقة . ولم يلعب الحظ دوره فى ذلك ، لا ولم تكن استراتيجية الحلفاء خاطئة إلا فى تطبيق مبـــدأ الحشد . فكانت استراتيجيتهم الدفاعية ، يقتضى تنفيذها تنفيذاً صحيحا ، وجود احتياطى كبير ، يوضع فى المكان الذى يمكنه منه مواجهة حشد الهجوم أينما حدث . فالحشد خفيف الحركة ، هو فقط الذى يمكن المدافع من مواجهة حشد الهجوم ، وكان فشل جاملان فى تكوين احتياطى كبير من الأسباب الرئيسية ، التى أدت إلى هزيمة الحلفاء . فلو أن الاحتياطى الفرنسى ، بعد أن تمكن الفرنسيون من تحديد اتجاه الهجوم الرئيسى ، قبل توجيه الضربة الأساسية بيومين ، كان فى المكان الذى يستطيع منه مواجهة ذلك الهجوم ، لتمكن من صده أياً كان نشاط الألمان الجوى .

ويرجع نجاح الألمـان إلى اتباع القيادة الألمـانية العليا ما يأتى :

أولا : وضعت خطة الهجوم فى الاتجاه الاستراتيجى الصحيح .

ثانياً : وجهت الهجوم فى النقطة التى يكون نجاحه حاسما فيها ، من الوجهة الاستراتيجية ، إذ يؤدى إلى قطع خطوط مواصلات العدو ، وكانت فى هذه الحال هى الخطوط الجانبية .

ثالثاً : اتبعت جميع المبادىء الاستراتيجية فى خطة منطقية منسقة .

كما يجب ألا نغفل ما كان للوقت من أهمية فى هذه الحملة ليس فقط بارتباطه بسرعة الاشتباك ، وإنمـا أيضاً بالنسبة لتوقيتات الهجات المختلفة . فكان توقيت المجهود الرئيسى ، بعد أن يتم جذب قوات الحلفاء إلى بلجيكا . ولم

يبدأ الهجوم الأساسى فى المرحلة الثانية إلا بعد جذب الهجوم الثانوى للاحتياطى الفرنسى ، إلى منطقة السوم .

* * *

إن هذه الحملة تطبيق عملى رائع للفن العسكرى فى أوج كفاءته . فقد كان لدى الألمان من القوات ما يفوق قوة الحلفاء ، وما يمكنهم من إحراز النصر على الرغم مما يقترفوه من أخطاء . غير أن سرعة هذا النصر ، بل وكماله يرجعان إلى اتباع المبادىء الاستراتيجية بغاية الدقة .

ولم يكن الجيش الفرنسى ، على الرغم مما كان به من نقص وعيوب ، جموعاً من الغوغاء ، ولكنه كان جيشاً مدرباً ، جنوده مقتدرون ، وقادته ممتازون ، وليس هناك من تعليل مقبول لهزيمته تلك النكراء ، فى مثل ذلك الوقت الوجيز ، إلا كفاءة أعدائه فى الفن الحربي جميعه .

المحتويات

	صفحة
مقـــدمة	٥
الباب الأول : اللغة العسكرية	٧
الباب الثانى : أساس الاستراتيجية	٢٠
الباب الثالث : المبادأة والمفاجأة	٣٤
الباب الرابع : الحشد وخفة الحركة	٥٠
الباب الخامس : توحيد القيادة والبساطة	٦٠
الباب السادس : التعاون والتنسيق والمواصلات	٦٩
الباب السابع : الطبيعة البشرية	٨٥
الباب الثامن : المعلومات	٩٢
الباب التاسع : وضع الخطة	١٠٦

كشف اللوحات

شكل		صفحة
١	ــ مناورة استراتيجية	٧
٢	ــ خطوط المواصلات والقواعد	١٢
٣	ــ التطويق	١٣
٤	ــ حركة التفاف	١٣
٥	ــ التطويق المزدوج	١٤
٦	ــ الاختراق	١٥
٧	ــ مناورات استراتيجية	١٦
٨	ــ الاتجاه الاستراتيجى	١٧
٩	ــ الهجوم المضاد	١٩
١٠	ــ خطط الجانبين فى حملة بولندا عام ١٩٣٩	٢٢
١١	ــ تنفيذ العمليات فى حملة بولندا عام ١٩٣٩	٢٤
١٢	ــ خطوط المواصلات العرضية	٢٧
١٣	ــ معركة جسر الفرسان ــ المرحلة الأولى : استدراج الوحدات المدرعة	٤٥
١٤	ــ معركة جسر الفرسان ــ المرحلة الثانية : الهجوم المضاد	٤٦
١٥	ــ تقدم فرقة للهجوم	٦٦
١٦	ــ معركة كييف (أغسطس ١٩٤١)	٧١
١٧	ــ معركة المجيد (٩ سبتمبر ١٩١٨)	٧٥
١٨	ــ خطة فون شليفن عام ١٩١٤	٧٨
١٩	ــ معركة المارن الأولى (سبتمبر ١٩١٤)	٧٩
٢٠	ــ خطة فون شليفن عام ١٩١٤	٩٥
٢١	ــ معركة السامبر (٢٣ أغسطس ١٩١٤)	٩٦

شكل	صفحة
٢٢ — شمال فرنسا	١٠٠
٢٣ — الموقف فى فرنسا قبل الغزو الألمانى (١٩٣٩ — ١٩٤٠) .	١٠٨
٢٤ — الخطة الألمانية لاكتساح فرنسا (عام ١٩٤٠)	١١٥
٢٥ — المرحلة الأولى من اكتساح فرنسا (١٠ مايو — ٤ يونيو ١٩٤٠)	١١٦
٢٦ — المرحلة الثانية من اكتساح فرنسا (٥ — ١٠ يونيو ١٩٤٠)	١٢٣
٢٧ — حركة الالتفاف فى فرنسا (١٠ — ٢٥ يونيو ١٩٤٠) . .	١٢٥